مجلة

المنار

المجلد الرابع والعشرون

الجزء التاسع

إهداء من

تابعوا ...

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

WWW.ALUKAH.NET

فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صوى « وصارا » كمنار الطريق

٢٩ المحرم ١٣٤٢ — ١٨ السنبلة ١٣٠٣ه ش — ١١ سبتمبر ١٩٢٣

فتاوى المنار

﴿ هل كان النبي (ص) يعرف لغة غير العربية ﴾

(س ٢٥) من صاحب الامضاء الطالب في الازهر

مولانا الاستاذ الفاضل محمد رشيد رضا نفعنا الله بمواهبه . آمين

لقد احتد الجدال بين عالمين مسلمين فلسطينيين في هل كان النبي عليه السلام يعرف اللغات كلها أو اللغة العربية فقط ؟ ولقد قبل الطرفان فتواكم ، ورضيا بقولكم لحل هذه المعضلة ، وكشف هذه المسئلة . نرجو من الله أن يهدي المسلمين الى ما فيه الخير الجزيل . وأن يبعدهم من التعصب الذميم . وفي الختام تقبلوا تشكراتنا لقلبية سيدي

محمد فريد الشطي

طالب علم بر واق الشوام

(ج) قد كان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أميا لم يتعلم قراءة ولا كتابة ، ومن المعلوم بالقطع الثابت بكتاب الله تعالى وبالتواتر أنه عربي أمي فالعلم بلغة

غير لغة قومه لا يكون الا بالتعلم وهو لم يتعلم . أو بالوحي وقد كان الوحي اليه بلسانه قطعا بنص القرآن ولم يثبت ما يخصص هذا النص أو يقيد إطلاقه بل ثبت ما يؤيده وينفي ماعداه كقوله تعالى في سورة النحل (ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر ، لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) نزلت في عبد لبني الحضرمي رومي كان يقرأ الكتب وقيل في قين (حداد) رومي كان يعمل السيوف بمكة مع أخ له وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحب أن يرى هذه الصنعة فيختلف اليه . فقال بعض المشركين إنه يتعلم منه فحجهم الله تعالى بقوله (لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) ولو كان النبي (ص) يعلم شيئا ما من اللغات الاعجمية لكانت الرومية لاختلاط بعض قريش بالروم عند اختلافهم الى بلاد الشام التي كانت تحت سلطان الروم ، ولو عرف الرومية لكان للشبهة المذكورة وجه ما من جهة اللغة ولكان ردها من طريق آخر أقوى من طريق اختلاف اللغة كأن يقال : إن الذين يلحدون اليه جاهل بكل علم من علوم القرآن — كعقائد التوحيد والتنزيه للخالق وأصول الشريعة وحقائق الآداب والفصل فيما حرفه وما نسيه أهل الكتاب من دينهم . . . . وأنى لعبد بني الحضرمي أو ذلك القين الرومي أن يعلم شيئا من هذا ؟ ولكن اختلاف اللغة الذي لا مكابرة فيه أغنى عن هذا البرهان ، الذي لا يعقله الا من عرف القرآن ، وكان اكثر المشركين وقت نزول سورة النحل بمكة لا يعرفون من القرآن شيئا لان رؤساء قريش كانوا يصدون الناس عن النبي (ص) كما يصدونه عن التبليغ بقراءة القرآن — فلهذا كان الرد عليهم باختلاف اللغة المانع من الاخذ والتلقي أقوى في الاقناع

هذا وان بعض العلماء قد ذكروا بحثا نظريا في احتمال تعليم الله خاتم رسله لجميع خلقه جميع ألسنتهم لقوله (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) وأيدوه بنطقه (ص) بكلمات مفردة قيل إنها أعجمية واننا نورد اصح ما روي في ذلك ونبين غلط الاحتمال فيه وهو ما جاء في صحيح البخاري قال

(باب من تكلم بالفارسية والرطانة) (١) وقوله تعالى (واختلاف ألسنتكم وألوانكم) وقال (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) ثم ذكر بسنده عن جابر بن عبدالله قال : قلت يا رسول الله ذبحنا بهيمة(٢) لنا وطحنت صاعا من شعير فتعال أنت ونفر فصاح النبي (ص) فقال « يا أهل الخندق إن جابراً قد صنع لكم سورا فحيهلا بكم » الحديث — ثم ذكر بسنده من طريق عبدالله بن المبارك عن أم خالد بنت خالد بن سعيد قالت : أتيت رسول الله (ص) مع ابي وعلي قميص اصفر . قال رسول الله (ص) « سنه سنه » قال عبد الله : وهي بالحبشية حسنة — الحديث .

قال الحافظ ابن حجر في كلامه على الآيتين من ترجمة الباب: كأنه اشار الى ان النبي (ص) كان يعرف الالسنة لانه أرسل الى الامم كلها على اختلاف السنتهم فجميع الامم قومه بالنسبة الى عموم رسالته فاقتضى ان يعرف ألسنتهم ليفهم عنهم ويفهموا عنه . ويحتمل ان يقال لا يستلزم ذلك نطقه بجميع الالسنة لامكان الترجمان الموثوق به عندهم . اه

أقول لو كان النبي (ص) أعطي العلم بجميع اللغات ليفهم عن جميع الامم التي أرسل اليها ويفهموا عنه لكان ذلك من أعظم المعجزات الحسية التي لا يمكن لاحد أن يكابر فيها ولتحققت العلة بخطابه الاعاجم الذين بدأ بدعوتهم الى الاسلام كهرقل قيصر الروم وكسرى الفرس والمقوقس عظيم القبط، ولكن صح أنه كتب اليهم بالعربية ولم ينقل قط أنه دعا أعجميا الى الاسلام بلغته ولا أنه سمع من أعجمي كلاما بلغته في شأن الاسلام ، ولا أمر أصحابه وأتباعه بأن يبلغوا الاسلام الاعاجم بلغاتهم بل الذي ثبت ثبوتا قطعيا خلاف ذلك وهو أنه كان يدعو الى الاسلام هو وأصحابه باللسان العربي وبالقرآن العربي وكانوا يعلمون كل من أسلم من الاعاجم اللسان العربي ولذلك انتشر هذا اللسان بانتشار الاسلام منذ

(١) الرطانة بكسر الراء ويجوز فتحها هو كلام غير العرب . يقال رطن له من باب نصر وتراطنوا بالفارسية مثلا أو بالانكليزية (٢) بوزن جهينة مصغر

العصر الاول من غير مدارس انشئت لذلك ولا اجبار للامم التي فتح الصحابة والتابعون وتابعو التابعين بلادهم كما تفعل أمم أوربة في البلاد التي يستعمرونها بل كان الذين يدخلون في الاسلام يتعلمون لغته لاجل القيام بما فرض الله عليهم من التعبد بكتابه المنزل ، والتفقه فيه وفي سنة رسوله (ص)

وقد ذكر الامام الشافعي (رح) هذا البحث في أول رسالته في أصول الشريعة فذكر الآيات التي تصف القرآن بأنه عربي مبين وآية (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) وذكر الاحتمالين المشار اليهما هل النبي (ص) اوتي ألسنة جميع من أرسل اليهم أم كانوا هم أن يعرفوا لسانه كما كلفوا أن يعرفوا دينه ؟ وجزم بالثاني وأقام عليه البراهين ووافقه جميع علماء المسلمين فلم ينقل عن أحد من المجتهدين ولا المقلدين انه عارضه فيه أو انكره عليه ، وقد فصلنا ذلك في مقالتين ننشرهما في الجزء العاشر الآتي . فالمسألة اجماعية وقد عجبت لهو الحافظ ابن حجر عنها في هذا المقام على سعة اطلاعه وذكره لخلاصة أقوال المحققين في شرح كل حديث في الباب اللائق به ، وقد ذكر أن الغرض من حديث جابر هنا أن كلمة « سور » بضم السين وسكون الواو غير مهموز فارسية وقيل حبشية وان معناها الطعام الذي يدعى اليه وقيل مطلقا — كما أن كلمة « سنه » حبشية وقال انها في رواية الكشميهني « سناه » بزيادة الف وان الهاء فيهما للسكت (قال) قال ابن قرقول : بفتح النون الخفيفة عند أبي ذر وشددها الباقون وهي بفتح أوله للجميع الا القابسي فكسره اه

وروى البخاري في هذا الباب حديثا ثالثا عن أبي هريرة وهو أن الحسن ابن علي أخذ تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال النبي (ص) له « كخ كخ ، أما تعرف أنا لا نأكل الصدقة »

وقد قال الحافظ بعد ايراد الثلاثة : وقد نازع الكرماني في كون الالفاظ الثلاثة أعجمية لان الاول (وهو سور) يجوز أن يكون من توافق اللغتين . والثاني (وهو سنه) يجوز أن أصله حسنة فحذف أوله إيجازا ، والثالث من اسماء الاصوات . وقد

أجاب عن الاخير ابن المنير فقال وجه مناسبته أنه (ص) خاطبه (أي الحسن) بما يفهم مما لا يتكلم به الرجل مع الرجل فهو كمخاطبة العجمي بما يفهم من لغته. قلت وبهذا يجاب عن الباقي ويزاد بان تجويزه حذف أول حرف من الكلمة لا يعرف وتشبيهه بقوله «كفى بالسيف شا» لا يتجه لان حذف الاخير معهود في الترخيم والله أعلم اه كلام الحافظ في كتاب الجهاد وقال في الكلام على حديث جابر في غزوة الخندق إن كلمة سور معناها الصنع بالحبشية وقيل العرس بالفارسية ويطلق أيضا على البناء الذي يحيط بالمدينة اه

ونقول: الصواب ان معنى الكلمة بالفارسية الوليمة أي طعام العرس ولا يطلق على طعام جابر الا بتجوز فاذا لم يكن هذا اللفظ معربا من قبل فيكفي أن يكون (ص) هو الذي عربه وكذا لفظ سنه أو سناه. وهل تعد معرفة الكلمة المفردة من اللغة معرفة باللغة؟ قلما يوجد في عوام مصر من لا يعرف عدة كلمات تركية أو انكليزية فهل يقال إنهم علماء بهاتين اللغتين علما يفهمون به كلام أهلها ويفهمونهم مرادهم؟ كلا انما تساهل بعض العلماء في اطلاق احتمال أن يعرف النبي (ص) المئات من لغات الامم لانهم يرونه من باب التعظيم الذي يكاد بعضهم ان يقبل فيه كل شيء وان كان مخالفا لبعض القطعيات أو مفضيا لبعض المطاعن من جهة أخرى لم يفطنوا لها فان كون النبي (ص) اميا ركن من أركان اثبات نبوته ومقدمة من مقدمات البرهان على اعجاز كتابه

﴿ حركة الارض وجريان الشمس لمستقر لها ﴾

(س٢٩) من صاحب الامضاء المدرس في مدينة تطوان — في المغرب الاقصى

الحمد لله وحده — من تطوان في ٢٧ شوال سنة ١٣٤١

فضيلة أستاذي الوحيد، وملاذي الفريد، أستاذ العالم ومفتيه ومرشده السيد محمد رشيد رضا.

سلام على تلك الذات وتلك الروح الطاهرة من قلب يتأجج بنار الاشواق

ويضطرم في سعير البعاد ، غير أن ثلج ماء عين (مناركم) قد يطفيء شيئا من ذاك اللهيب ، ويخمد سعيرها عنه ما يهم الفكر في استحسان تلك الدرر اليتيمة ، والتمتع بتلك المعاني الوحيدة الفريدة .

سيدي وسندي ، أرجو من فضيلتكم الجواب على صفحات « المنار » الاغر عما يأتي :

من المقرر عند علماء الجغرافية أن الارض لها دورتان يومية وسنوية وأن الليل والنهار والفصول ينشآن عن هاتين الدورتين للارض ويقتضي هذا أن الشمس ثابتة والله تعالى يقول (والشمس تجري لمستقر لها). فأرجو من فضيلتكم جوابا كافيا شافيا كما هو شأن فضيلتكم بحيث لا يبقى في النفس ولو كانت جاحدة أدنى مخالفة . حفظكم الله وأطال حياتكم ، وبارك في عمركم وعمر أنجالكم الكرام ، مدى الليالي والايام ، من الداعي لفضيلتكم بذلك تلميذكم وصديقكم

محمد العربي بن أحمد الخطيب

(ج) اذا كان ماذكره السائل من المقرر عند علماء الجغرافية فان من المقرر عندهم وعند علماء الفلك أن الشمس تدور على محورها كغيرها من الاجرام السماوية وأنها تدور هي والكواكب السيارة التي حولها حول نجم آخر مجهول يعدونه المركز لها . وبلغنا عن أحد المعاصرين من هؤلاء العلماء أنه حقق حديثا أن مجاميع الشموس كلها — أو العالم كله يجري في الفضاء لغاية مجهولة . وتجدون هذا البحث ماعدا القول الاخير في مقالة طويلة للدكتور محمد توفيق صدقي (رح) في المجلد الرابع عشر من المنار . وتجدون فيها رأيا عزاه الينا اذ تلقاه عنا وهو أن لجميع العالم المؤلف من هذه الشموس والكواكب مركزا واحدا هو مصدر التدبير والنظام لها وهو عرش الرحمن تبارك وتعالى (راجع ص ٥٩٠ و ٥٩١ ج ٨ منه) ونحن قد استنبطناه من عرض مذهب الفلكيين على قوله تعالى (الله الذي خلق السموت والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر) فجريان الشمس ثابت بالاتفاق فان دورانها على محورها يسمى جريانا ، ودورانها مع مجموعها المعلوم حول

نجم مجهول على قولهم — كدوران المجاميع الشمالية حول نجم القطب الشمالي — يسمى جريانا أيضا . وأولى منه وأظهر سيرها مع بقية العالم الذي قال به بعض المتأخرين كما ذكر في تقويم لفلامريون المشهور . على أن الجريان يستعمل استعمالا مجازيا في السير المعنوي كما يقال جرى القضاء بكذا ، ولك ان تقول الآن ان أوربة تجري في تنازع دولها لحرب أخرى شر من الحرب الاخيرة

وأما المستقر الذي تجري الشمس اليه أوله ففيه وجهان (أحدهما) أنه ما ينتهي اليه أمرها بخراب عالمنا هذا التي هي ركن نظامه فيكون جريانها كجريان غيرها بمعنى قوله تعالى في أول سورة الرعد (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى . يدبر الامر يفصل الآيات لقوم يوقنون) وهو بمعنى ما روي عن قتادة قال تجري لمستقر لها : لوقتها ولاجل لاتعدوه (ثانيهما) أنه مستقر نظامها لا أجلها وهو النجم المجهول عند علماء الفلك والعرش على رأينا — . ويؤيده حديث أبي ذر في كون مستقرها تحت العرش ، والحديث قد روي بألفاظ مختلفة أظهرها اخصرها وهو مارواه الجماعة الا ابن ماجه وغيرهم عنه قال سألت رسول الله (ص) عن قوله (والشمس تجري لمستقر لها) قال « مستقرها تحت العرش » وبعض ألفاظه مشكل في ظاهره جدا ورواته أقل وهو ماذكر فيه سجودها لله تحت العرش واستئذانها وان فسر بمعنى خضوعها لارادته كقوله (والنجم والشجر يسجدان) والراجح عندنا أنه روي بالمعنى فأخطأ بعض الرواة في فهمه فعبر عنه بما فهمه والله أعلم . وسنعود الى هذا البحث في وقت أوسع ومجال أوسع ان شاء الله تعالى

﴿ حكم الصائم الذي يغطس في الماء ﴾

(س ٢٧) من صاحب الامضاء في جزيرة البحرين

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الاستاذ الفاضل مولانا السيد محمد رشيد رضا أدام الله وجوده للمسلمين آمين

بعد تقبيل أناملكم الكريمة . نعرفكم أنه صرح لنا بعض الاستاذة هنا بأن الصائم اذا غطس في الماء صيامه صحيح ولا يفطر فكان عندنا شك من ذلك فنلتمس من فضيلتكم أن ترشدونا عن ذلك أدامكم الله ذخراً لمحبيكم

عبد الله المزروع ومحمد يوسف فخرو

(ج) قال صاحب المغني من علماء الحنابلة مانصه :

(فصل) ولا بأس أن يغتسل الصائم لان عائشة وأم سلمة قالتا نشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كان ليصبح جنبا من غير احتلام ثم يغتسل ثم يصوم متفق عليه. وروى أبو بكر باسناده أن ابن عباس دخل الحمام وهو صائم هو وأصحاب له في شهر رمضان .فأما الغوص في الماء فقال احمد في الصائم ينغمس في الماء اذا لم يخف أن يدخل في مسامعه فان دخل في مسامعه فوصل الى دماغه من الغسل المشروع في المضمضة والاستنشاق من غير اسراف ولا قصد فلا شيء عليه كما لو دخل الى حلقه من المضمضة في الوضوء فان غاص في الماء أو اسرف أو كان عابثا فحكمه حكم الداخل الى الحلق من المبالغة في المضمضة والاستنشاق . الزائدة على الثلاث والله أعلم

وقال الشمس الرملي من فقهاء الشافعية في نهاية المحتاج عند قول المنهاج « فلا يضر وصول الدهن بتشرب المسام ولا يضر الاكتحال وان وجد طعمه بحلقه » مانصه : كما لا يضر الانغماس في الماء وان وجد أثره بباطنه إه وناهيك بدقة الشافعية وتشديدهم في تعريف الصوم ، وعندنا ان أحسن تعريف شرعي للصوم قول صاحب الهداية من الحنفية . هو الامساك عن الاكل والشرب والجماع نهارا مع النية . والانغماس في الماء ليس شربا ولا نهي عنه بخصوصه ولا هو مظنة لدخول الماء الى الجوف أكثر من المضمضة المشروعة في الصيام ودخول الماء الى الجوف من الاذن لا يسمى شربا وهو لا من الافعال الاختيارية التي تفعل بقصد ولا فائدة منه في نقع الغلة أو ازالة الظمأ فهو ليس منافيا لحقيقة الصيام ولا لمقصده وانما البحث فيه من التنطع المذموم شرعا والله أعلم

حقيقة الايمان والكفر وشعبهما

والظلم والفسق وما يعد من ذلك خروجا من الملة

أسهب المحقق ابن القيم في كتابه (الصلاة) في الخلاف بين العلماء في كفر تارك الصلاة وعدمه وأدلة المثبت والنافي . ثم قفى على ذلك بفصول في الحكم بين الفريقين بدأها بالبحث في مسألة العنوان المهمة فأحببنا نشرها، لانها من المسائل المهمة التي لم يوفها مثله حقها

فصل

﴿ في الحكم بين الفريقين، وفصل الخطاب بين الطائفتين ﴾

معرفة الصواب في هذه المسئلة مبني على معرفة حقيقة الايمان والكفر ثم يصح النفي والاثبات بعد ذلك فالكفر والايمان متقابلان اذا زال أحدهما خلفه الآخر. ولما كان الايمان أصلا له شعب متعددة وكل شعبة منها تسمي إيمانا . فالصلاة من الايمان . وكذلك الزكاة والحج والصيام والاعمال الباطنة كالحياء والتوكل والخشية من الله، والانابة اليه حتى تنتهي هذه الشعب الى اماطة الاذى عن الطريق فانه شعبة من شعب الايمان. وهذه الشعب منها مايزول الايمان بزوالها كشعبة الشهادة ومنها ما لايزول بزوالها كترك إماطة الاذى عن الطريق. وبينهما شعب متفاوتة تفاوتا عظيما ، منها ما يلحق بشعبة الشهادة ويكون اليها أقرب ومنها ما يلحق بشعبة إماطة الاذى ويكون اليها أقرب

وكذلك الكفر ذو اصل وشعب فكما أن شعب الايمان إيمان فشعب الكفر كفر ، والحياء شعبة من الايمان، وقلة الحياء شعبة من شعب

الكفر، والصدق شعبة من شعب الايمان والكذب شعبة من شعب الكفر . والصلاة والزكاة والحج والصيام من شعب الايمان وتركها من شعب الكفر ، والحكم بما أنزل الله من شعب الايمان والحكم بغير ما أنزل الله من شعب الكفر ، والمعاصي كلها من شعب الكفر كما أن الطاعات كلها من شعب الايمان

وشعب الايمان — قسمان قولية وفعلية . وكذلك شعب الكفر نوعان قولية وفعلية . ومن شعب الايمان القولية شعبة يوجب زوالها زوال الايمان فكذلك من شعبه الفعلية مايوجب زوالها زوال الايمان . وكذلك شعب الكفر القولية والفعلية فكما يكفر بالاتيان بكلمة الكفر اختيارا وهي شعبة من شعب الكفر فكذلك يكفر بفعل شعبة من شعبه كالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف فهذا أصل

وها هنا أصل آخر وهو ان حقيقة الايمان مركبة من قول وعمل . والقول قسمان قول القلب وهو الاعتقاد وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الاسلام . والعمل قسمان عمل القلب وهو نيته واخلاصه . وعمل الجوارح ، فاذا زالت هذه الاربعة زال الايمان بكماله واذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الاجزاء فان تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة . واذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق . فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة فأهل السنة مجمعون على زوال الايمان وانه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب وهو محبته وانقياده كما لم ينفع ابليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول بل ويقرون به سرا وجهرا ويقولون ليس بكاذب ولكن لا نتبعه ، ولا نؤمن به

واذا كان الايمان يزول بزوال عمل القلب فغير مستنكر أن يزول بزوال أعظم أعمال الجوارح ولاسيما اذا كان ملزوما لعدم محبة القلب وانقياده الذي هو ملزوم لعدم التصديق الجازم كما تقدم تقريره فانه يلزم من عدم طاعة القلب عدم طاعة الجوارح اذ لو أطاع القلب وانقاد أطاعت الجوارح وانقادت، ويلزم من عدم طاعته وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة وهو حقيقة الايمان . فان الايمان ليس مجرد التصديق كما تقدم بيانه. وانما هو التصديق المستلزم للطاعة والانقياد وهكذا الهدى ليس هو مجرد معرفة الحق وتبيينه بل هو معرفته المستلزمة لاتباعه والعمل بموجبه، وان سمي الاول هدى فليس هو الهدى التام المستلزم للاهتداء كما ان اعتقاد التصديق وان سمى تصديقا فليس هو التصديق المستلزم للايمان فعليك بمراجعة هذا الاصل ومراعاته (١)

فصل

وها هنا أصل آخر وهو الكفر نوعان كفر عمل وكفر جحود وعناد . فكفر الجحود ان يكفر بما علم ان الرسول جاء به من عند الله جحودا وعنادا — من اسماء الرب وصفاته وافعاله وأحكامه. وهذا الكفر يضاد الايمان من كل وجه . وأما كفر العمل فينقسم الى ما يضاد الايمان والى مالا يضاده فالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف وقتل النبي وسبه يضاد الايمان . واما الحكم بغير ما انزل الله وترك الصلاة فهو من الكفر

(١) ملخص كلامه ما بيناه في الحاشية التي قبل هذه من ان الايمان هو التصديق الاذعاني لا كل تصديق جازم قال تعالى (وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا) فالجحود الذي هو ضد الايمان قد اجتمع مع تصديق الاستيقان

العملي قطعا، ولا يمكن ان ينفى عنه اسم الكفر بعد أن أطلقه الله ورسوله عليه، فالحاكم بغير ما انزل الله كافر وتارك الصلاة كافر بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن هو كفر عمل لا كفر اعتقاد، ومن الممتنع ان يسمي الله سبحانه الحاكم بغير ما انزل الله كافرا ويسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم تارك الصلاة كافرا ولا يطلق عليهما اسم الكفر، وقد نفى رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان عن الزاني والسارق وشارب الخمر. وعمن لا يأمن جاره بوائقه، واذا نفي عنه اسم الايمان فهو كافر من جهة العمل وانتفى عنه كفر الجحود والاعتقاد. وكذلك قوله « لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » فهذا كفر عمل وكذلك قوله « من أتى كاهنا فصدقه أو امرأة في دبرها فقد كفر بما انزل على محمد » وقوله « اذا قال الرجل لاخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما » وقد سمى الله سبحانه وتعالى من عمل ببعض كتابه وترك العمل ببعضه مؤمنا بما عمل به وكافرا بما ترك العمل به. فقال تعالى (واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم اقررتم وأنتم تشهدون * ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟ فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى في الحياة الدنيا ويوم القيامة يُردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون) فاخبر سبحانه أنهم اقروا بميثاقه الذي أمرهم به والتزموه وهذا يدل على تصديقهم به وانهم لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من يادرهم. ثم أخبر انهم عصوا أمره وقتل فريق منهم فريقا وأخرجوهم من

ديارهم .فهذا كفرهم بما أخذ عليهم في الكتاب ،ثم أخبر انهم يفدون من اسر من ذلك الفريق وهذا ايمان منهم بما أخذ عليهم في الكتاب، فكانوا مؤمنين بما عملوا به من الميثاق كافرين بما تركوه منه ، فالايمان العملي يضاده الكفر العملي ،والايمان الاعتقادي يضاده الكفر الاعتقادي، وقد اعلن النبي صلى الله عليه وسلم بماقلناه في قوله في الحديث الصحيح «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» ففرق بين قتاله وسبابه وجعل أحدهما فسوقا لا يكفر به والآخر كفرا ومعلوم انه انما اراد الكفر العملي لا الاعتقادى وهذا الكفر لا يخرجه من الدائرة الاسلامية والملة بالكلية ، كما لم يخرج الزاني والسارق والشارب من الملة وان زال عنه اسم الايمان

وهذا التفصيل هو قول الصحابة الذين هم أعلم الامة بكتاب الله وبالاسلام والكفر ولوازمهما. فلا تتلقى هذه المسائل الا عنهم فان المتأخرين لم يفهموا مرادهم فانقسموا فريقين: فريقا اخرجوا من الملة بالكبائر وقضوا على أصحابها بالخلود في النار ،وفريقا جعلوهم مؤمنين كاملي الايمان. فهؤلاء غلوا ، وهؤلاء جفوا .وهدى الله أهل السنة للطريقة المثلى والقول الوسط الذي هو في المذاهب كالاسلام في الملل ، فهاهنا كفر دون كفر ونفاق دون نفاق وشرك دون شرك وفسوق دون فسوق وظلم دون ظلم .

قال سفيان بن عيينة عن هشام بن حجير عن طاووس عن ابن عباس في قوله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون) ليس هو بالكفر الذي يذهبون اليه . وقال ابن عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال سئل ابن عباس عن قوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) قال :هو بهم كفر وليس كمن كفر بالله وملائكته

وكتبه ورسله .وقال في رواية أخرى عنه : كفر لا ينقل عن الملة .وقال طاووس ليس بكفر ينقل عن الملة. وقال وكيع عن سفيان عن ابن جريج عن عطاء كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق ، وهذا الذي قاله عطاء بين في القرآن لمن فهمه فان الله سبحانه سمى الحاكم بغير ما أنزله كافرا ويسمى جاحد ما أنزله على رسوله كافرا. وليس الكافران على حد سواء ويسمى الكافر ظالما كما في قوله تعالى (والكافرون هم الظالمون) وسمى متعدي حدوده في النكاح والطلاق والرجعة والخلع ظالما فقال: (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) وقال يونس نبيه (لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين) وقال صفيه آدم (ربنا ظلمنا أنفسنا) وقال كليمه موسى (رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي) وليس هذا الظلم مثل ذلك الظلم

ويسمى الكافر فاسقا كما في قوله (وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) الآية وقوله (ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون) وهذا كثير في القرآن ويسمى المؤمن فاسقا كما في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) نزلت في الحكم بن أبي العاص وليس الفاسق كالفاسق وقال تعالى (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا وأولئك هم الفاسقون)

وقال عن ابليس (ففسق عن أمر ربه) وقال فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق) وليس الفسوق كالفسوق والكفر كفران، والظلم ظلمان، والفسق فسقان وكذا الجهل جهلان، جهل كفر كما في قوله تعالى

(خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وجهل غير كفر لقوله تعالى (انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب)

كذلك الشرك شركان شرك ينقل عن الملة وهو الشرك الاكبر، وشرك لا ينقل عن الملة وهو الشرك الاصغر، وهو شرك العمل كالرياء. وقال تعالى في الشرك الاكبر (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) وقال (ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق). وفي شرك الرياء (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) ومن هذا الشرك الاصغر قوله صلى الله عليه وسلم «من حلف بغير الله فقد اشرك» رواه ابو داود وغيره. ومعلوم ان حلفه بغير الله لا يخرجه عن الملة ولا يوجب له حكم الكفار. ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم «الشرك في هذه الامة اخفى من دبيب النمل»

فانظر كيف انقسم الشرك والكفر والفسوق والظلم والجهل الى ما هو كفر ينقل عن الملة والى مالا ينقل عنها،

وكذا النفاق نفاقان نفاق اعتقاد ونفاق عمل فنفاق الاعتقاد هو الذي انكره الله على المنافقين في القرآن وأوجب لهم الدرك الاسفل من النار ونفاق العمل كقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح «آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب، واذا وعد أخلف واذا اؤتمن خان» وفي الصحيح ايضا «اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: اذا حدث

كذب ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر واذا اؤتمن خان » فهذا نفاق عمل وقد يجتمع مع أصل الايمان ولكن اذا استحكم وكمل فقد ينسلخ صاحبه عن الاسلام بالكلية وان صلى وصام وزعم انه مسلم فان الايمان ينهى المؤمن عن هذه الخلال فاذا اكملت في العبد ولم يكن له ما ينهاه عن شيء منها فهذا لا يكون الا منافقا خالصا وكلام الامام احمد يدل على هذا فان اسماعيل بن سعيد الصائغ قال: سألت احمد بن حنبل عن المصرّ على الكبائر يطلبها بجهده الا انه لم يترك الصلاة والزكاة والصوم هل يكون مصرًّا من كانت هذه حاله ؟ قال هو مصر مثل قوله « لا لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » يخرج من الايمان ويقع في الاسلام ونحو قوله « لا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن » ونحو قول ابن عباس في قوله تعالى (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون) قال اسماعيل فقلت له ماهذا الكفر؟ قال: كفر لا ينقل عن الملة مثل الايمان بعضه دون بعض فكذلك الكفر حتى يجيء من ذلك امر لا يختلف فيه

فصل

وههنا أصل آخر وهو أن الرجل قد يجتمع فيه كفر وايمان وشرك وتوحيد وتقوى وفجور ونفاق وايمان، وهذا من أعظم أصول أهل السنة وخالفهم فيه غيرهم من أهل البدع كالخوارج والمعتزلة والقدرية، ومسئلة خروج أهل الكبائر من النار وتخليدهم فيها مبنية على هذا الاصل، وقد دل عليه القرآن والسنة والفطرة واجماع الصحابة

قال تعالى (وما يؤمن اكثرهم بالله إلا وهم مشركون) فاثبت لهم ايمانا به سبحانه مع الشرك وقال تعالى (قالت الاعراب آمنا، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا، ولما يدخل الايمان في قلوبكم، وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم) فاثبت لهم اسلاما وطاعة لله ورسوله مع نفي الايمان عنهم وهو الايمان المطلق الذي يستحق اسمه بمطلقه (الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله) وهؤلاء ليسوا منافقين في أصح القولين بل هم مسلمون بما معهم من طاعة الله ورسوله وليسوا مؤمنين وان كان معهم جزء من الايمان اخرجهم من الكفر

(قال) الامام احمد من أتى هذه الاربعة أومثلهن أوفوقهن — يريد الزنا والسرقة وشرب الخمر والانتهاب — فهو مسلم ولا اسميه مؤمنا ومن أتى دون ذلك — يريد دون الكبائر — سميته مؤمنا ناقص الايمان، فقد دل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم « فمن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق » فدل على انه يجتمع في الرجل نفاق واسلام. وكذلك الرياء شرك فاذا راءى الرجل في شيء من عمله اجتمع فيه الشرك والاسلام، واذا حكم بغير ما أنزل الله، أو فعل ما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم كفراً وهو ملتزم الاسلام وشرائعه، فقد قام به كفر واسلام. وقد بينا أن المعاصي كلها شعب من شعب الكفر كما أن الطاعات كلها شعب من شعب الايمان فالعبد تقوم به شعبة أو أكثر من شعب الايمان وقد يسمى بتلك الشعبة مؤمناً وقد لا يسمى كما أنه قد يسمى بشعب الكفر كافراً وقد لا يطلق عليه هذا الاسم

فها هنا أمران أمر اسمي لفظي ، وأمر معنوي حكمي . فالمعنوي هل هذه الخصلة كفر أم لا ؟ واللفظي هل يسمى من قامت به كافراً أم لا ؟ فالامر الاول شرعي محض ، والثاني لغوي وشرعي

فصل

وها هنا أصل آخر وهو أنه لا يلزم من قيام شعبة من شعب الايمان بالعبد أن يسمى مؤمناً وان كان ما قام به ايمانا ، ولا من قيام شعبة من شعب الكفر به أن يسمى كافراً وان كان ما قام به كفراً ، كما أنه لا يلزم من قيام جزء من اجزاء العلم به أن يسمى عالما ولا من معرفة بعض مسائل الفقه والطب أن يسمى فقيها ولا طبيبا ، ولا يمتنع ذلك أن تسمى شعبة الايمان ايمانا ، وشعبة النفاق نفاقا ، وشعبة الكفر كفراً ، وقد يطلق عليه الفعل كقوله «فمن تركها فقد كفر» و«من حلف بغير الله فقد كفر» وقوله «من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر» و«من حلف بغير الله فقد كفر» رواه الحاكم في صحيحه بهذا اللفظ

فمن صدر منه خلة من خلال الكفر فلا يستحق اسم كافر على الاطلاق وكذا يقال لمن ارتكب محرما إنه فعل فسوقا وانه فسق بذلك المحرم ولا يلزمه اسم فاسق الا بغلبة ذلك عليه . وهكذا الزاني والسارق والشارب والمنتهب لا يسمى مؤمنا وان كان معه ايمان كما أنه لا يسمى كافراً وان كان ما أتى به من خصال الكفر وشعبه . اذ المعاصي كلها من شعب الكفر كما ان الطاعات كلها من شعب الايمان

والمقصود أن سلب الايمان من تارك الصلاة أولى من سلبه عن مرتكب الكبائر ، وسلب اسم الاسلام عنه أولى من سلبه عمن لم يسلم

المسلمون من لسانه ويده ، فلا يسمى تارك الصلاة مسلما ولا مؤمنا وان كان معه شعبة من شعب الاسلام والايمان. نعم يبقى أن يقال فهل ينفعه مامعه من الايمان في عدم الخلود في النار؟ فيقال ينفعه ان لم يكن المتروك شرطا في صحة الباقي واعتباره. وان كان المتروك شرطا في اعتبار الباقي لم ينفعه. ولهذا لم ينفع الايمان بالله ووحدانيته، وانه لا إله إلا هو من أنكر رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ولا تنفع الصلاة من صلاها عمداً بغير وضوء، فشعب الايمان قد يتعلق بعضها ببعض تعلق المشروط بشرطه، وقد لا يكون كذلك

فيبقى النظر في الصلاة هل هي شرط لصحة الايمان ؟ هذا سر المسئلة ، والادلة التي ذكرناها وغيرها تدل على أنه لا يقبل من العبد شيء من أعماله الا بفعل الصلاة فهي مفتاح ديوانه ، ورأس مال ربحه ، ومحال بقاء الربح بلا رأس مال . فاذا خسرها خسر اعماله كلها وان أتى بها صورة . وقد أشار الى هذا في قوله « فان ضيعها فهو لما سواها أضيع » وفي قوله « ان أول ما ينظر في اعماله الصلاة فان جازت له نظر في سائر اعماله وان لم تجز له لم ينظر في شيء من اعماله بعد »

ومن العجب أن يقع الشك في كفر من أصر على تركها ودعي الى فعلها على رءوس الملأ ، وهو يرى بارقة السيف على رأسه ، وشد للقتل وعصبت عيناه ، وقيل له تصلي والا قتلناك ، فيقول اقتلوني ولا أصلي أبداً !! ومن لا يكفر تارك الصلاة يقول هذا مؤمن مسلم يغسل ويصلي عليه ويدفن في مقابر المسلمين . وبعضهم يقول إنه مؤمن كامل الايمان إيمانه كايمان جبريل وميكائيل ، فلا يستحي من هذا قوله من انكاره تكفير من شهد بكفره الكتاب والسنة واتفاق الصحابة والله الموفق اهـ

بطل العرب والاسلام العظيم

القائد الكبير محمد عبد الكريم

اقتسمت فرنسة مع اسبانية مملكة المغرب الاقصى كما اقتسمت مع انكلترة سورية والعراق . وقد قيض الله تعالى لاهل الريف الذي جعل حصة لاسبانية زعيما عظيما نظم لهم جيشا من انفسهم يقاتل به الاسبانيين لاخراجهم من بلادهم فأتى في قتاله لهذه الدولة بما يكاد يكون من خوارق العادات التي أيد الله بها سلف هذه الامة في صدر الاسلام ، وما زلنا نمني النفس بالتنوية بجهاده منذ بطش البطشة الكبرى قبل ثلاث سنين حتى رأينا في هذه الايام ما كفانا المؤنة من المقال الآتي «لسعادة الكاتب السياسي الكبير» الذي يغني وصفه عن تعيين شخصه ، وحرف الامضاء عن التصريح باسمه ، (المنار)

من عادة الجرائد ان تكثر من لفظة « البطولة » تعرب بها كلمة Heroisme التي تدور كثيرا في الكتابات الاوروبية والناس مضطرة اليوم الى تعريب كلماتهم وتقليد مناحيهم . أما أنا فكنت غير راغب في هذا الاستعمال لانني لا أكتفي من اللفظة بان تأتي في معاجم اللغة وان لا تعد غلطا بل أحب ان أجدها في كلام العرب الاولين أو المخضرمين أو المولدين على الاقل ، ولا أتذكر انني عثرت بالبطولة اي حالة من كان بطلا في غير متون اللغة . أما الآن فأريد أن أستعملها لهذا الاسد الزائر ، والفحل الصائل ، المسمى بمحمد بن عبد الكريم المتولي كبر تحرير قومه في شمالي مراكش — فأقول بطل محمد بن عبد الكريم بطولة وبطالة فهو بطل ، لا بل هو بطل الابطال ، وفذ الافذاذ ، وعلم الاعلام ، بل هو عندي أعظم مزية من مصطفى كمال ، ومن جميع أبطال العصر الحاضر ، البادي منهم والحاضر . وكل من ينظر في قضية الامير محمد بن عبد الكريم ويتأمل فيها ويرى موقفه المدهش المحير للعقول في وجه اسبانية مع الفرق الشاسع والشقة الهائلة بين درجتي كل من اسبانية والمنطقة التي تقاتلها من شمالي المغرب يحكم بانه لو كان في الدنيا

انصاف لما كان أحد اليوم أولى من محمد بن عبد الكريم بان يوضع في مقدمة أبطال العصر ، ويكتب تاريخه ، وتدون سيرته ، وتعرض صورته ، ويرجح على فوش وهندنبرغ ومصطفى كمال ودانونسيو ولنين ومسوليني وطبقتهم التي اختلط ذكرها بالتاريخ العام

ان فوش عند ما أحرز النصر كان رأسا على ١٥ مليون جندي من عساكر الحلفاء عدا جنود اميركا التي كان وصل منها الى فرنسا مليونان ونصف مليون وبقي منها مثل هذا العدد في اميركا ، وان هندنبورغ كان قائد لستة ملايين ألماني هم أحسن جنود العالم بدون نزاع ، وان مصطفى كمال وان صح ان يقال إنه بعث تركية من قبرها ، فانه كان في تركية عساكر منظمة ، وجنود مدربة ، وضباط اركان حرب معدودين من الطبقة الاولى ، وبقايا أسلحة ، وآثار دولة مبنية من اصلها على الاسل ، وجاءها لويد جورج بمعاهدة سيفر التي تجعل تركية أثرا بعد عين ، وزحف اليها اليونانيون يذبحون الرجال ، ويهتكون الاعراض ، فاتيحت لهمة مصطفى كمال أسباب عديدة تجمع حوله أمة باسلة مستبسلة كالامة التركية . وان سائر من ذكرنا من الرجال المعدودين في هذا العصر كانوا في حركاتهم متوكئين على أمم عظام ، واعداد لا تحصى ، وتشكيلات ادارية تامة ، فاستوسق لهم من الامور ما استوسق ، وظهر من شأنهم ما ظهر

وأما محمد بن عبد الكريم فان جئنا الى عد انصاره فان الريف كله يبلغ جزءا من سبعة من سلطنة المغرب فان كانت هذه السلطنة ثمانية ملايين فيكون الريف زائدا قليلا على المليون ، وان كانت هذه السلطنة لا تنوف على اربعة ملايين أو خمسة كما جاء في بعض مؤلفات الفرنسيس الاخيرة فيكون الريف نحو ثلثي المليون أي أكثر قليلا من جبل لبنان وأقل شيئا من فلسطين ، ومع هذا فان هذين الثلثين من المليون أو فلنقل هذا المليون واقف في وجه دولة اسبانية التي عدة أهلها عشرون مليونا . بخلاف تركية مع اليونان ، اذ تركية مع كل ما اقتطع منها بقيت ١٢ مليونا واليونان مع كل ما أضيف اليها لا تزيد على ٦ ملايين . فأنت ترى ما هنالك من

الفرق ،وزد عليه انه لم يجتمع من جنود اليونان في وجه مصطفى كمال ما اجتمع من جنود الاسبانيول في وجه محمد بن عبد الكريم فقد كان جيش اليونان المحارب لجيش أنقرة من ١٥٠ الى ١٧٠ الفا حال كون الجيش الاسبانيولي الذي غزا الريف سنة ١٩٢١ بلغ عدده ٢٠٠ الف مقاتل وباء بالخذلان كما هو معروف . والجيش الاسبانيولي الزاحف اليوم الى الريف هو بحسب قول الجرائد الاوروبية مائة وستون الف مقاتل . وانه في كلتا المرتين تطوع في الجيش الاسبانيولي الوف مؤلفة من اصناف الافرنجة لا سيما من الانكليز — الذين لا يتركون فرصة يظهرون فيها فرط محبتهم للاسلام الا ولجوها — وهـذه المرة يقال ان اكثر الالحاح على الدولة الاسبانية في استئصال شأفة المقاومة من الريف واقع من دولة بريطانيا العظمى

ثم لا يخفى ما يوجد من الفرق بين زحف اليونان من بلادهم راكبين اثباج البحر الواسع وايغالهم في بلاد الاناضول الطويلة العريضة التي تأكل الجيوش بمساوفهم وبين ركوب الاسبانيول بحرا اسمه بحر الزقاق او بوغاز جبل طارق عرضه ساعات قلائل وكون الريف كله لا يساوي في الرقعة ولاية من ولايات الاناضول

لا نريد في هذه المقابلات والمقارنات تصغير شيء من مجادة العمل الذي قام به اخواننا الترك وأدهش الربع العامر بأسره، وترنحت له أعطاف الشرقيين عند من يقول بجامعة شرقية ،وقرت به عيون المسلمين عند من يأخذ بجامعة اسلامية . ان الاتراك أشهر في الحروب من ان ينوه فيها الانسان بقدرهم، وان انتصارهم الاخير بعد ان نهكت قواهم الحروب المتتابعة بدون انقطاع ولا فتور منذ بضع عشرة سنة أضاف صفحة جديدة على تاريخ مجدهم ،وخلد مصطفى كمال ذكرا لا تمحوه الاعصر بانه هو المؤسس الاخير للدولة التركية

ولكننا نريد ان نثبت بهذه المقارنات انه بالنسبة الى قلة الوسائل وضيق الرقعة وفقد التشكيلات ونزارة الاسلحة وندورة الضباط وانحصار الريف بين

البحر من جهة والمنطقة الفرنسوية من أخرى وصار الريف من أصله فان فضل محمد بن عبد الكريم هو أعظم من فضل مصطفى كمال ومن فضل أعاظم قواد أوروبا لانه لو قام أي واحد من أولئك العظام مقام ابن عبد الكريم لعجز ان يأتي بشي مما أتاه

في تموز سنة ١٩٢١ استأصل الريفيون بقيادة هذا البطل الغشمشم ٢٥ الف مقاتل اسبانيولي وأسروا ألوفا وغنموا ١٧٠ مدفعا وقيل ٣٠٠ مدفع و ٧٠ الف بندقية واعتادا حربية لا تحصى رعدد آمن الطيارات وسبق لهذا العاجز المعجب بمحمد بن عبد الكريم المتحسر على أن ليس في سورية مثله ـ مقالات متعددة عن تلك الطوائل التي طال بها والوقائع التي انتصر فيها منها ما نشرناه « بالبيان » ومنها في « الصباح » الذي كان يطلع بفلسطين. لان حرية المطبوعات ... في سورية لعهد محرري الامم ... لم تكن تسمح بنشر شيء عن قوم يدافعون عن استقلالهم ولو كانوا من أقصى البلاد عن سورية

وبعد هاتيك الهزيمة عول الاسبانيول على سياسة التفريق والشقاق بين الريفيين ، تلك السياسة التي طالما نجحت بها الدول المستعمرة ونالت مآربها من الشرق من ثنايا منافسات الشرقيين بعضهم مع بعض ، فعقد الاسبانيول الصلح مع الرسولي ، وأعملوا الهمة في التضريب بين القبائل الريفية ، وخدروا أعصاب كثيرين منها ، وبذلوا المواعيد ومنوا الاماني ، حتى خيل لهم ان الحركة قد همدت ، وان حزب بن عبد الكريم قد ضعف جدا عن ذي قبل ، وانهم ان صمدوا اليه وجدوه هذه المرة في قلة من قومه وقضوا منه وطرهم ، فكان الامر بعكس ماخالوا ، وهو انهم لما آنسوا منه رقة الجانب وطمعوا في أخذه بالقوة عاد هذا الامير فاستفز قبائل الريف وأوضح لهم الخطر فارتفعت الواعية ، وامتدت الصارخة ، واعصوصبت القبائل حول قائدها ، وتأهبت للنضح عن ذمارها ، وعاد الامر كما بدا ، لا بل رأى محمد بن عبد الكريم ان يجعل الاسبانيول غداءه قبل ان يجعلوه عشاءهم ، فجمر (١) للزحف على

(١) المنار : جمر بنو فلان اجتمعوا وجمرتهم حشدتهم وهو ماخوذ من جمرات =

مواقعهم الامامية بقرب مليلا، وناوشهم القتال منذ أوائل هذا الصيف ، فدارت رحى الهيجاء وحمى الوطيس وتباعث العرب والبربر على الموت في سبيل دينهم ووطنهم، فجفلوا الاسبانيول عن مراكزهم ، وافحشوا النكاية فيهم، ورأت اسبانية ان ابن عبدالكريم لا يزال ابن عبد الكريم من المنعة في قومه ، والحيطة من وراء أمره ، والحمية على وطنه ، والحفيظة لحقه ، وان الريفيين لم يبرحوا على عهدهم بالشهامة واباء الضيم ، والبصائر بالحرب ، والغرام بالطعن والضرب ، فسقط في يدها ، وخابت آمالها ، وجردت الى الريف زحوفها ، حتى بلغ عدد الياق (١) الاسبانيولي المرابط الآن بالريف ١٦٠ الفا وهي لم تنل وطرا ، ولا قضت حاجة ، فثارت الخواطر في مادريد واضطربت الحكومة وادلهم الخطب ، وأبى الحزب العسكري الا ان يتابع ارسال الامداد الى ان تستقيم عصاة الريف أو تنكسر ، وذهب آخرون الى انه لا فائدة من غزو الريف الا تراكم الخسائر في المال والرجال ، وقدم اثنان من النظار استعفاءهما احدهما ناظر المالية الذي شكا من كون عجز الموازنة المالية هذه السنة بلغ ٩٠٠ مليون فماذا يكون ان اصرت الحكومة على متابعة حرب الريف؟

هذه حالة اسبانية اليوم ، وهذا هو الفري الذي فراه محمد بن عبد الكريم عودا على بدء ، فاثبت انه بطلها اليوم كما كان بطلها بالامس ، وسترى انه بطل السلم كما هو بطل الحرب ، وانه أصدر أوامر بالاتفاق مع اعضاء الحكومة الريفية أي هو رأسها بانزال أشد العقاب الى حد القتل بمن يعتدي على اسبانيولي او أي اوربي او يخالف القوانين الحربية المرعية بين الدول المتمدينة

وقد نشر رجل سويسري من زوريخ منذ أيام رسالة تناقلتها كثير من جرائد سويسرة كنا نود تعريبها ونشرها كلها نقلا عن جريدة « فوي دافي »

العرب جمع جمرة وهي الطائفة التي تجتمع على حدة لقوتها وشدة باسها . وقول الكاتب جمر للزحف معناه لاجل الزحف . وفي حقيقة الاساس : وجمر الامير الغزاة (بتشديد الميم) حبسهم في الثغر وفي نحر العدو ولا يقفلهم اهـ أي لا ياذن لهم بالرجوع

(١) الفياق بوزن زينب الكتيبة العظيمة مؤنثة والمعنى وكتاب العصر يذكرونها بتذكير اللفظة أو بمعنى الجيش

الصادرة بلوزان لكن طولها حال دون تعريبها برمتها . وما لها ان بعض الشبان من سويسرة قصدوا اسبانية للعمل وبينما هم يعملون ببرسلونة (١) إذ أخذتهم حكومة اسبانية الى الريف بحجة انها تريد ان تستخدمهم في النقليات. وان هنا عملا باجرة وهناك عملا باجرة فذهبوا مسيرين غير مخيرين . ولما صاروا الى مليلا نظموهم في التابور وارسلوهم الى ميدان الحرب خلافا لما كانوا وعدوهم به . ولما كانوا من رعية سويسرة لا شان لهم في حرب واقعة مع اسبانية فر منهم بضعة نفر فادركهم الاسبانيول وحاكموهم محاكمة « البلط » (الفارين من العسكر) وحكموا عليهم بالقتل ونفذ فيهم الحكم رميا بالرصاص مع أنهم لم يكونوا متطوعين في جند اسبانية وانما سيقوا الى الحرب جبرا وقهرا بعد أن خدعوا بقول الحكومة الاسبانية لهم انهم يكونون في مليلا عملة كما كانوا في برسلونة . قال هذا الرجل السويسري الزوريخي — فالتزمنا أن نشهد وقائع من أشد واهول مايتصور العقل كانت غالبا خسائر الاسبانيول فيها افدح من خسائر المغاربة . وذكر واقعة قال ان الاسبانيول خسروا فيها وحدها اربعة آلاف مقاتل : وهو يحزر مجموع خسائر الاسبانيول بستين الف مقاتل

ثم قال — اننا مللنا القتال ونحن لا ناقة لنا في الامر ولا جمل ففررنا الى جهة العرب فأخذونا الى عبد الكريم فامر بانتظامنا في الجيش فبعد ان كنا نقاتل في صف الاسبانيول صرنا نقاتل الاسبانيول ، وكنا في كلا الحالين مكرهين لا ابطالا . فبعد أن شهدنا عدة وقائع لاحت لنا فرصة للفرار ففررنا املا بالوصول الى ساحل البحر ومنه نجد فلكا يأخذنا الى اوروبا فكانت وقعتنا بالقرب من قرية عربية فقبضوا علينا وساقونا الى الامير عبد الكريم فايقنا في أنفسنا بالهلكة وقلنا يصيبنا هنا ما أصاب رفاقنا عند الاسبانيول فلما وصلنا الى الامير كان منه ان قال لنا — نعم يحق لكم ان تفروا لانه طال عليكم الغياب عن اوطانكم ولكن اخطأتم

(١) قال في معجم البلدان : برشليانة بسكون اللام وياء والف ونون بلدة بالاندلس من اقاليم كبلة

بانكم لم تخبرونا بعزيمتكم حتى نؤدي اليكم نفقة الطريق. ثم نقدلنا(١) مبلغا يكفي نفقتنا وارسلنا الى جهة ركبنا منها البحر الخ . ويذكر هذا السويسري بعد ذلك الفرق بين الاسبانيول والمغاربة مما هو ظاهر للعيان من سياق هذه القصة

ان الذي يربطنا بعبد الكريم وقومه ليس انهم مسلمون فقط ولا انهم ممدودون من الامم الشرقية ولو كانوا من الغرب - بل لكوننا مقيدين واياهم بسلسلة طويلة فهي متصلة الحلقات لاخرم فيها من اولها الى آخرها . ومن المحال ان يفوز المغربي في الريف أو في أي مكان آخر بدون ان ينتشق اخوه المشرقي ارج الفرج ولو على بعد الوف من الفراسخ وهذا أمر يعرفه الاوربيون جيدا لذلك تجدهم متضامنين متكافلين في وجهنا مهما اشتدت الشحناء بينهم في بلدانهم . وهاك مثالا وقع معنا نحن الوفد السوري -

انه لمعلوم كون فرنسا منافسة اسبانية في المغرب . واسبانية لاتود فرنسا، وأكثر الخلاف بينهما على مسئلة طنجة ، فذهب مرة احد زملائنا اعضاء الوفد السوري لمقابلة المندوب الاسباني في جمعية الامم نظير غيره من مندوبي الدول الذين قابلناهم وشرحنا لهم قصة سورية . الا انني لم اكن والحمدلله حاضرا هذه المرة مقابلة المندوب الاسبانيولي بل كان الرصيف وحده . فما كاد يفتح له حديث الاستقلال وحق سورية في الاستقلال الا وجد المندوب الاسباني نفر وانتثر وقال له - « نحن لانساعد ابدا امما امثالكم على الاستقلال ويكفينا ما عندنا من مسئلة الريف » وصادف أن رصيفنا لم يكن يريد اغضابه ظنا بان مرضاته ربما تفيد شيئا وانه هو أيضا ممن يعتقد المصانعة وكتمان الضمير في السياسة، فأخذ يبرهن له على اهلية سورية للاستقلال ويؤكد له وجود قسم كبير فيها من المسيحيين . وشرع الاسبانيولي يرد عليه بأن المسيحيين في سورية هم فئة قليلة فأجابه رفيقنا - لا بل عندنا مسيحيون نحو الثلث . وأخيرا فصل السياسي الاسباني الخطاب بانهم هم اي الاوروبيين لا يجدر بهم ان يساعدوا أمة شرقية

(١) يقال نقدته الدراهم ونقدتها له على الزيادة بمعنى اعطيته إياها

على الاستقلال ولو كان فيها مسيحيون . وأتى بهذا الجواب المقشر بدون ادني محاباة ولا محاياة . فلينظر اذا الشرقي وليتأمل .

هذه قضية لم نأخذ منها النتيجة عقلا بل اخذناها نقلا بل شفهيا من فم مندوب اسبانية في جمعية الامم . بكره هؤلاء استقلالنا بالشام لئلا تشتد بقوتنا نحن عزائم اهل الريف ، ولو كان الاسبان اضداد الفرنسيس . أبعد هذا شك في وجود التضامن بينهم ووجوب . التضامن لا بيننا وبين كل امة اسلامية فقط بل كل أمة شرقية بل كل أمة مظلومة مقهورة مسلمة او غير مسلمة ؟ اذا فليحي محمد بن عبد الكريم . لان قضيته هي قضيتنا . البيان — (ش)

(المنار) ان فيما ختم به مقاله امير الكتاب ، لموعظة وذكرى لاولي الالباب ، ومن العجب العجاب ، أن اهل الشرق كافة ، والمسلمين منهم خاصة والافريقيين منهم على الاخص . لم يحفلوا بأمر هؤلاء الريفيين على اعجابهم ببسالتهم ، وعلمهم بقلة لوسائل التي بأيديهم ، ولو كنا أحياء كالافرنج الذين يتعاونون على استعبادنا ، ويتكافل المتنازعون منهم فيما بينهم في كل مايقضون به علينا ، — لكنا أجدر بارسال المتطوعين الى الريفيين ، من الانكليز بالتطوع مع الاسبانيين ، واننا نرى نهضة شعبنا المصري قد دخلت في كل طور من اطوار حياة الامم الا طور الجهاد بالنفس ، والتمرن على فنون الحرب ، أفلم يكن يجدر بهم أن يغتنموا مثل هذه الفرص — حرب طرابلس وحرب الريف — فيرسلوا حملات المتطوعين من شبانهم التي دلتنا الثورة الاخيرة على شجاعتهم فيها وعدم مبالاتهم بالرصاص في اثنائها ، وان يجدوا من ضباطهم الذين في « الاستيداع » من يقود حملاتهم ويدربها ؟ بلى والله ثم بلى .

فان كان هذا طور جديد لما يتح لهم فما بال أغنيائهم الذين حمد العالم لهم بذلهم المساعدة للدولة العثمانيه في حروبها ولا سيما حرب طرابلس الغرب وحرب البلقان لا يمدون ايديهم السخية لمساعدة هؤلاء المنكوبين حتى ان جمعية الهلال الاحمر لم تبال بهم ، كأنها لا تشعر بوجودهم ؟

الخلافة والسلطان القومي

— وجهة نظر الترك الى هذه المسألة الكبرى —

صدر من أنقرة كتاب بالتركية بعنوان « الخلافة والسلطان القومي » يقع في ٧٨ صفحه ، هو مجرد من اسم المؤلف واسم المطبعة واسم البلد الذي طبع فيه ، ولكن مهما أراد واضعوه أن يكتموا فان موضوعه ومادته وكل شيء فيه ينم على حقيقته . وهو مطبوع أجمل طبع على ورق جيد ، ومنسق تنسيقا يشهد لواضعيه بأنهم بذلوا الجهد في التأنق به وإفراغه في القالب الذي أرادوه له

ويرجح أن حكومة المجلس الوطني الكبير هي التي نشرت كتاب «الخلافة والسلطان القومي» تأييدا لخطتها في هذه المسألة الاسلامية الكبرى ، وقد تولت أمر نشره في العالم كله مديرية الاستخبارات لان ذلك داخل في دائرة اختصاصها اما أصحاب المعلومات التي تضمنها هذا الكتاب فهم أنفسهم الذين أعدوا للغازي مصطفى كمال باشا المادة الدينية والعلمية من خطبته الشهيرة في الخلافة...

يتألف كتاب « الخلافة والسلطان القومي » من مقدمة وفصلين وخاتمة . اما المقدمة ففي اختلاف وجهة نظر الفرق الاسلامية — كالخوارج والامامية والباطنية وغيرها — الى الخلافة وهل هي ضرورية أم لا ؟ . وأما الفصل الاول ففي تعريف الخلافة وتقسيمها الى حقيقية وصورية وفي شروطها وكونها في قريش ، وفي أنها من نوع عقود الوكالة ، وفي الغاية منها وما يترتب على ذلك من واجبات الخليفة ومسؤوليته ، وفي الولاية العامة والسلطان القومي . وأما الفصل الثاني ففي التفريق بين السلطة والخلافة وهو بيت القصيد في الكتاب ، والفصل كله يدور حول الاقناع بجواز ما صنعته حكومة أنقرة في الخلافة الاسلامية . ولان هذا الفصل هو المقصود من الكتاب فقد جعلت الخاتمة أيضا في هذا الموضوع ولزيادة تأييده

ومما أراد مؤلفو الكتاب اثباته أن الخلافة الاسلامية ليست من مسائل

الدين بل هي مسألة دنيوية وسياسية (ذكروا ذلك في المقدمة ثم في متن الكتاب) وبعد أن نقلوا عن (شرح المقاصد) تعريف الخلافة بأنها «رياسة عامة في أمر الدين والدنيا خلافة عن النبي صلى الله عليه وسلم» ونقلوا عن (المسايرة) لابن الهمام أنها «استحقاق تصرف عام على المسلمين» قالوا ان المعنى الذي تدل عليه كلمة «الامامة» هو المعنى الذي يراد الآن من لفظ «الحكومة» والاسلام ليس فيه رياسة دينية لاحد، حتى أن (مشيخة الاسلام) مما ابتدعه العثمانيون ولم يكن هناك مقام رسمي ديني في الحكومات الاسلامية السابقة له هذه الصفة من الرياسة الدينية، وغاية ما في الباب أن شيخ الاسلام له صفة الفتوى لا يمتاز عن المفتين في شيء، والمفتي هو العالم وفتواه متى كانت صوابا صحيحة سواء كانت فتوى رسمية أو غير رسمية

ثم قسم واضعو الكتاب الخلافة الى حقيقية وصورية، فالخليفة الحقيقي هو الجامع لكل الصفات والشروط المطلوب وجودها في الخليفة، وأن تكون الامة قد اختارته وبايعته برضاها وارادتها، وأن يكون فضلا عن هذا وذاك مجردا من الاغراض الدنيوية والمطامع المختلفة وان تكون له على الامة شفقة الاب على بنيه وأن لا ينحرف عن الشرع قيد أنملة، والخلاصة أن الخليفة الحقيقي هو الذي يسلك سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في جميع أعماله، فان لم يكن الخليفة كذلك، أو اذا لم تكن متوفرة فيه شروط الخلافة، أو أن يكون قد نال هذا المقام بالغلبة والقهر، فهو سلطان وليس بخليفة:، بل ان السلطة والملك لا يكونان مشروعين اذا قاما على الظلم والاعتساف، فلا يعتبر قضاء القاضي ولا ولاية الوالي اذا كانا منصوبين من امام أو سلطان جائر

وذكر مؤلفو الكتاب شروط الخلافة ومنها «أن يكون الخليفة من قريش» أي من أركان القبيلة القرشية، قالوا: وقريش هم بنو النضر بن كنانة الذين منهم النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم بنو هاشم وبنو أمية وبنو العباس، فهؤلاء جميعا من قريش، وذلك مذهب أهل السنة من حنفية وشافعية ومالكية

وحنابلة لان النبي صلى الله عليه وسلم قال « الائمة من قريش » وقد قرر ذلك بلسان قطعي و باطلاق تام استاذ فقهاء الحنفية وكبير من كبراء فحول علماء تركستان وهو النجم النسفي المعروف بمفتي الثقلين المتوفى في سمرقند عام ٥٣٧ فأثبته في كتابه « العقائد النسفية » الذي يدرس في جميع المدارس الاسلامية منذ عصور، وهو من الكتب المقررة في المدارس الدينية في الآستانة الى يومنا هذا ، ولذلك قال العلامة التفتازاني في (شرح العقائد النسفية) ان الامر أصبح مشكلا بعد انقراض الخلافة العباسية لان الخلافة القرشية قد زالت بزوالها

واستنتج واضعوا كتاب « الخلافة والسلطان القومي » من ذلك أنه ما دام واجبا على المسلمين اقامة الخليفة ، وما دام الخليفة لا بد أن يكون من قريش فان من الواجب تحويل ذلك الى اقامة حكومة فقط لتعذر وجود خليفة جامع للصفات والشروط اللازمة ، ولا يكون المسلمون آثمين اذا أقاموا حكومة تحل محل الخلافة ولا حاجة حينئذ الى أن تكون هذه الحكومة حكومة الخلافة ولا الى أن يكون رئيسها خليفة (أنظر ص ٢٢ من هذا الكتاب) ولذلك لم ينكر العلماء المعاصرون للسلطان سليم الاول على هذا السلطان حمله الخليفة (المتوكل على الله العباسي) على أن يفرغ له الخلافة سنة ٩٢٣ مع أنه فعل ذلك على مرأى منهم في جامع آيا صوفية ، ومع ذلك فان خلافة السلطان سليم الاول خلافة صورية وليست خلافة حقيقية

ولذلك لم يعبأ أحد في العالم الاسلامي بل ولا في جزيرة العرب لادعاء الشريف حسين الخلافة واعلانه ذلك مع أنه في مكة ومن قريش بل ومن بني هاشم ولم يكد المجلس الوطني الكبير يعلن أنه أجلس في مقام الخلافة حضرة عبد المجيد حتى ارتفع صوت الاجابة والبيعة من جميع أنحاء العالم الاسلامي ، ولو بالقول على الاقل ، وعلى ذلك فان مما يوافق الحكمة حصر المجلس الوطني الكبير الخلافة في آل عثمان

ثم تساءل مؤلفو الكتاب عما إذا كان رجل جامع في نفسه شروط الخلافة أكثر من كل رجل آخر في العالم الاسلامي هل يكون خليفة بنفسه ؟ وأجابوا أنه لا يكون خليفة ما لم تخوله الامة حق التصرف العام عليها ، ونقلوا عن الماوردي في (الاحكام السلطانية) أن الخلافة عبارة عن نوع من أنواع العقود فيما بين الامة الاسلامية والخليفة ، فهو من نوع عقود الوكالة ، ولذلك كانت العمدة في انعقاد الخلافة انما هي الشورى ، حتى إن البيعة بنفسها تفيد معنى العقد كالبيع والشراء

والوصول الى مقام الخلافة طريقان اما البيعة العامة ، أو استخلاف الخليفة ولي عهده ، فالاول هو الاصل والثاني متفرع عنه ، بشرط توفر شروط الخلافة فيمن يتولاها في كل من الحالتين ، وأما الارث فلا تجوز الخلافة به لان الوكالة لا تورث ، وذكروا طريقا ثالثا لاحراز الخلافة وهو طريق القهر والغلبة ، وذلك لا يكون بطبيعة الحال الا في الخلافة الصورية دون الحقيقية ، فاذا ثار عليه متغلب آخر وغلبه ينعزل الاول بتغلب الثاني

والخليفة لا يملك حق التصرف في أمور المسلمين بما فيه ضررهم أو ضرر أفراد منهم وان كان الضرر قليلا ، وتصرفه من هذا القبيل لا يعد معتبراً ولا نافذا فلو تصرف بشبر من الارض العامة لغير مصلحة يكون تصرفه لاغيا

والخلافة ليست معقودة لنفسها بل تكون وسيلة لشيء آخر وهو الحكومة فالغاية منها توزيع العدل وصيانة الملة ، بل تلك هي الغاية من الشرع نفسه ، وانما استفحل ملك الاسلام يوم كان ينظر الى الشرع والامامة بهذا النظر ثم اضمحل الاسلام وأهله لما انصرفت الامامة عن واجباتها هذه الى ما يخالفها ، فغرق العالم الاسلامي في جهل كثيف وتولاه تعصب متفنن وكانت نتيجة هذا وذاك سقوط الملة الاسلامية في حمأة الفقر والسفالة

ومسؤولية الخليفة عظيمة ، بل ليس في الاسلام فرد مجرد من المسؤولية وقد ورد في الحديث « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالامام راع

وهو مسؤول عن رعيته »

اما ماورد في قانون الدولة العثمانية الاساسي من أن « السلطان مقدس وغير مسؤول » فانما اقتبسه العثمانيون من قوانين اوربا الاساسية وهو ينافي الشرع الاسلامي كل المنافاة، لانه ليس أحد من الناس مقدساً في حكم الشريعة الاسلامية. فالمقدس هو الله وحده، واذا كان في المخلوقات شيء مقدس فانما هي الحقوق لانها أمانة الله بين يدي من يتولاها. فالامام اذا عبث بهذه الحقوق وظلم الامة فهو واقع تحت حكم الحديث الشريف «أشد الناس عذابا يوم القيامة امام جائر »

وأما الولاية العامة التي هي الامام (الخليفة) على المسلمين فانما هي ولاية تفويض ، فاذا خلع الخليفة أو تخلى عن منصبه سقط عنه حق الولاية العامة وعاد فرداً كأفراد الناس ، وهذا هو معنى السلطان الشعبي تماما

وما جاء في الكتب الاسلامية من وجوب نصب الخليفة فانما نظروا فيه الى أن الامة لا يمكنها أن تتولى بجمهورها القيام بمهامها العامة فقضوا بتفويض هذه المهام العامة الى الامام او الخليفة ، وهم انما يريدون أن من الواجب على الامة الاسلامية ألا تكون بلا حكومة ، وهم يقولون في كتبهم إن المقصد الاصلي من نصب الامام انما هو سد الثغور وتجهيز الجيوش وقامة الحدود وقطع النزاع وفصل الخصومات واقامة الشعائر الدينية ، وهذا الامر كما يقوم به الامام العادل المدبر يمكن أن تقوم به (حكومة) مهما كان شكلها اذا كانت ذات أنظمة صالحة فالمقصود هو أن لا تضيع حقوق الناس وأن لا تختل مصالح الملة ، فالولاية العامة كما تكون للخليفة تكون للحكومة « المنتظمة العادلة »

وأخذ مؤلفو الكتاب يبرهنون على صحة غرضهم وهو أن الحكومة تقوم مقام الخلافة لان الخلافة انقطعت منذ أمد طويل والخلفاء الذين نعرفهم كلهم خلفاء صوريون غير حقيقيين بل ان الخلفاء العباسيين أيضاً كذلك ، وجعل مؤلفو الكتاب يردون على العلامة التفتازاني (انظر ص ٥٩) اقوله في شرح العقائد النسفية: إن أهل الحل والعقد من أئمة الدين اتفقوا على خلافة آل

العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ، واستدلوا من عدم رضا الامام أبي حنيفة بتولي وظيفة القضاء أنه كان خارجا على الخلافة العباسية وغير معترف بها

ولما انتبهوا الى ما ثبت في التاريخ من ولاية الامامين أبي يوسف ومحمد القضاء للخلفاء المهدي والهادي والرشيد ، وهذان الامامان كانا صاحبي أبي حنيفة وعلى أقوالهما قام مذهبه ، رجعوا فقالوا ان ذلك لا يدل على اعترافهما بالخلافة الحقيقية لهؤلاء الخلفاء — ونقلوا عن ابن الهمام في (المسايرة) أن قبول منصب القضاء والولاية من السلطان الظالم الفاسق جائز وصحيح ؟ ، وقد شحنوا عدة صفحات من كتابهم بانتقاص خلفاء الملة الاسلامية من اقدم الازمان الى الآن ولم يستثنوا غير الخلفاء الراشدين الاربعة وواحدا أو اثنين آخرين وسلبوا سائر خلفاء الاسلام كل مزية ليبرهنوا على أن الخلافة يجب أن تهمل وأن الخليفة يجب أن يسلب كل سلطة

ثم قالوا : بما أن الخلافة عقد وكالة فالامة لها عند البيعة أن تشترط على الخليفة ما تشاء فان قبل فذاك ولا بايعت من يقبل شروطها ، هذا طريق ، وطريق آخر وهو أن يجرد الخليفة من كل شيء ويعهد بوظيفته الى أشخاص آخرين ، قالوا ولنا قدوة في التاريخ يوم تولى الملوك الادارة عن الخلفاء وجعلوهم لا يتدخلون في أمر ، ولا يتولون للامة عملا

قالوا (ص ٥٩) . وان فريقا من الناس في زماننا يترددون في تجويز تقييد الخليفة الى هذا الحد الذي تنفصل فيه السلطة عن الخلافة وهم مخطئون في ترددهم فان علماء مصر جوزوا ذلك ليس الآن بل قبل ستمائة سنة حيث بايعوا المستنصر بالله العباسي بيعة صورية وكان الحكم والعمل في يد الظاهر بيبرس . وقد أقر ذلك العز بن عبد السلام من كبار علماء الشافعية . قالوا (ص ٦٠) . ومعلوم أن علماء الشافعية لا يتساهلون في الامور الشرعية كما يتساهل الحنفية ومن الجواز أن نقول انهم وافقوا سلطان مصر على ذلك رياء فالعز بن عبد السلام من اشد العلماء صلابة في أخلاقه ودينه وتمسكا بعلمه اه

﴿ انتقاد المنار لكتاب خلافت وحاكميت ملية ﴾

هـذا ما لخصه قلم الترجمة لجريدة الاهرام من كتاب (خلافت وحاكميت ملية) لم نحذف منه الا بعض الجمل الاستطرادية للمترجم الذي فاته بعض المسائل المهمة منه، وما ارتآه في تعيين مؤلفيه بايعاز حكومة أنقرة التي نشرته

أما كون الكتاب قد نشرته (ادارة الاستخبارات التركية الرسمية) فاننا نعلمه ولا نشك فيه وأما كون جامعـه ومؤلفه فرداً أو جماعة فلا شأن له عندنا فاننا ننظر الى القول لا الى القائل ، واننا ننتقد أهم ما نراه في هذه الخلاصة منتقدا فنقول : —

(١) قولهـم « ان الخلافة ليست من مسائل الدين بل هي مسألة دنيوية وسياسية » ان أرادوا به أنها ليست من المسائل الاعتقادية المحضة لانها عمليـة وليست من العبادات — بل هي من الاحكام الشرعية العملية التي يعبر الفقهاء عنها بالمعاملات — فقولهم يكون صحيحا لكنه لا يفيد ما يظهر أنهم قصدوه به وان كانْ هو اللائق باطلاعهم وان أرادوا به أنها من الامور الدنيوية المباحة التي لم يوجبها الدين الاسلامي فقولهم باطل باجماع المسلمين كما بين ذلك المتكلمون والفقهاء ، ولو ترجم لنا الـكتاب كله لامكننا منه معرفة مرادهم ، قال صاحب جوهرة التوحيد :

وواجب نصب أمام عـدل بالشرع فاعلم لا بحكم العقل

(٢) تقسيمهم الخلافة الى حقيقية وصورية تقسيم مبتدع ، وانما قسمها علماء العقائد والفقه الي امامة حق وهي ما كانت على الوجه الشرعي من اختيار أهل الحل والعقد المستجمع للشروط — وامامة تغلب وهي ما يقابلها . وقد فصلنا ذلك في كتاب (الخلافة) والخلافة الحقيقية قد تكون كامـلة كخلافة الراشدين ومن كان على هديهم كعمر بن عبـد العزيز ، وقد تكون ناقصة على تفاوت في النقص اذ بعضه يقرب من الكمال وبعضه يبعد عنه

وقد اشترطوا في الخليفة الحقيقي شروطاً لم يقل بها أحد من أهل السنة كـكون

شفقته على جميع المسلمين كشفقته على بنيه وعدم انحرافه عن الشرع قيد انملة ، ويقرب هذا من اشتراط بعض الشيعة فيه العصمة

(٣) قدمات ملخص الكتاب بالعربية أن يذكر زعم مؤلفي الكتاب ان الخلافة الحقيقية محصورة في الراشدين واستدلالهم على هذا بحديث « الخلافة بعد ثلاثون سنة ثم تكون ملكا عضوضا » وحكمهم بصحته كما في (ص ١٣)

ونقول قد اشتهر هذا الحديث على الالسنة على عدم صحته لسببين (احدهما) أنه يذكر في دلائل النبوة وما كان كذلك لا يعنى العلماء عادة باعلاله اذ لا يخشى منه اثبات شيء باطل (وثانيهما) ان اعداء بني امية كانوا يقصدون به الطعن في خلافتهم فيروجونه لذلك . وقد ذكر معناه العلامة النسفي في كتاب العقائد واستدل له شارحها العلامة التفتازاني به باللفظ الذي جاء في كتاب (خلافت وحاكميت ملية) ثم قال : هذا مشكل لان أهل الحل والعقد من قد كانوا متفقين على خلافة الخلفاء العباسية وبعض المروانية كعمر بن عبد العزيز مثلا . ولعل المراد ان الخلافة الكاملة التي لا يشوبها شيء من المخالفة وميل عن المتابعة تكون ثلاثين سنة و بعدها قد تكون وقد لا تكون اه كلام السعد

وقال ملا احمد في حاشيته عليه ان الحديث اخرجه الترمذي في الفتن والنسائي في المناقب وابن حبان من حديث سفينة بألفاظ متقاربة واخرجه ابو داود بلفظ خلافة النبوة ثلاثون ثم يؤتي الله الملك من يشاء اه

اقول حديث سفينة رواه الامام احمد ايضا ولفظه عند غير أبي داود « ثم ملك بعد ذلك » ولم أره في النسائي . وقد انفرد به سعيد بن جمهان عنه عندهم كلهم وقال الترمذي حديث حسن قد رواه غير واحد عن سعيد بن جمهان ولا نعرفه الا من حديثه اه والصواب انه ضعيف وان وثق احمد سعيدا فقد ضعفه غيره والجرح مقدم على التعديل وقد بينوا سببه. قال يحيى بن معين: روي عن سفينة احاديث لم يروها غيره وارجو انه لا بأس به وقال ابو حاتم يكتب حديثه ولا يحتج به . وقال البخاري في حديثه عجائب. وقال الساجي لا يتابع على حديثه.

وتصحيح ابن حبان وحده فلا يعتد به لتساهله في التصحيح قال رواة الحديث قال سعيد : ثم قال سفينة أمسك خلافة أبي بكر – ثم قال وخلافة عمر وخلافة عثمان ، ثم قال أمسك خلافة علي — فوجدناها ثلاثين . قال سعيد فقلت له ان بني أمية يزعمون أن الخلافة فيهم — قال كذبوا بنو الزرقاء هم ملوك من شر الملوك. وليس في شيء من ألفاظ هذا الحديث «ثم تكون ملكا عضوضا» ولكن ورد هذا اللفظ في سياق حديث آخر غير حديث الخلافة ثلاثون سنة

ثم ان هذا الحديث على لفظه معارض بأحاديث صحيحة منها حديث «لا يزال هذا الدين عزيزاً الى اثنى عشر خليفة كلهم من قريش» الخ رواه مسلم وأبو داود وغيرهما وهو في البخاري بلفظ «يكون اثنا عشر أميراً كلهم من قريش» وحديث مسلم «وستكون خلفاء فيكثرون» قالوا فما تأمرنا ؟ قال «فوا ببيعة الاول فالاول» وحديثه «يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثيا لا يعده عدا» فما فسر السعد به حديث أسامة لا مندوحة عنه ، وقال بعضهم ان المراد بالخلافة فيه خلافة النبوة وهو لفظ رواية أبي داود والمراد بها الكاملة بزهد الخلفاء واعراضهم عن زينة الدنيا وعظمة الرياسة وهذا الكمال ليس بشرط لصحة الخلافة بل هو مزيد كمال فيها ولكن لا يقتضي ذلك أن تكون الخلافة بدونه صورية . فان معنى الخلافة رياسة الحكومة الاسلامية المستجمعة للشروط التي ذكرنا المجمع عليه منها عند اهل السنة ومنها كونه من قريش ، وما زاده مؤلف أو مؤلفو كتاب (خلافت ...) باطل أريد به باطل

(٣) انهم أرادوا من ادعاء انتهاء أجل خلافة النبوة وصيرورة رياسة الحكومة الاسلامية ملكا ومن اشتراط كون الخليفة الحق كالنبي الذي يخلفه بغير فرق ومن اشتراط النسب القرشي فيه أن وجوده متعذر وان تعذره يجعل المسلمين في حل من نسخ الامامة الاسلامية العظمى واستبدال حكومة أخرى بها لا يكون رئيسها اماما للمسلمين ولا خليفة للرسول صلى الله عليه وسلم في سياسة الدنيا واقامة الدين ، وهو ما صرحوا به في الصفحة الثانية والعشرين

ونقول إن الخوف من مثل هذه الجرأة على العبث بالشرع والتلاعب بالدين هو الذي جعل بعض علمائنا العقلاء يشايعون اهل الجمود التقليدي على القول باقفال باب الاجتهاد فقد كنت أتكلم مع استاذنا الشيخ حسين الجسر في هذه المسألة فقال اننا نخاف من فتح هـذا الباب أن يدعي أهل الجرأة والجهل الاجتهاد ويروج ذلك لهم الحكام الظالمون ليفتوا لهم بما يوافق أهواءهم، وذكر لي مثلا على ذلك الشيوخ المقربين من السلطان عبد الحميد كالشيخ أبي الهدى الصيادي وقال ان السلطان كان يرغب في جعله منهم وأن يظل لديه في (المابين) وانهم عرضوا عليه أن يفتي في بعض المسائل التي يعتقد بطلانها فاعتذر وتنصل بلطف وألح في الاستئذان بالعودة الى بلده معتـذرا بأن الاقامة في الآستانة تزيد في مرضه الصدري المزمن ، فلما صدرت الارادة السنية له بالاذن ، كان كانه خرج من السجن وقد كانت شرا من السجن على محب الحق

ولـكن اقفال باب الاجتهاد لم يحل دون المفسدة التي كان يخشاها شيخنا رحمه الله تعالى فقد كان مشايخ الاسلام في الآستانة كمشايخ مصر وغيرها يفتون الحكام بكل ما يطلبون منهم الفتوى فيه بايراد نصوص مبهمة يتركون لهم الحرية في تطبيقها على النوازل بما يخالف الشريعة ، وأحدث هذه الفتاوى في عصرنا فتوى شيخ الازهر ومفتي الديار المصرية لوزارة مصر بما جعلتـه حجة لارجاع ركب محمل الحج من جدة ومنعهم من اتمام النسك بعد الاحرام به ، والشيخان لا يبيحان هذا لو سئلوا عنه بخصوصه . وشر من هذه الفتوى وأضر فتوى شيخ الاسلام عبد الله دري افندي لحـكومة السلطان محمد وحيد الدين بأن جيش الاناضول المدافع عن استقلال الدولة عاص على الخليفة خارج عليه فيجب قتالهم ومن قتل في ذلك فهو شهيد ، وهو لم يذكر جيش الاناضول وانما ذكر عبارة مجملة عامة طبقتها الحكومة عليهم ، والتقليد أعون على هذه المفسدة من الاجتهاد ، فان الاجتهاد يبيح لكل عالم أن يفند خطأ المخطئين بالدليل كما فعل بانرد على مؤلفي كتاب (خلافت وحاكميت ملية)

أما قولكم انه يجب على المسلمين اقامة خليفة فهو صحيح وعليه أجمع اهل السنة ومن وافقهم من سائر الفرق المعتدلة كالزيدية — وقولكم ان الخليفة لا بد أن يكون من قريش صحيح أيضا ومجمع عليه عند اهل السنة كما نقلناه عن كتب العقائد الشهيرة التي لا تزال تدرس في مدارس السلاطين في الآستانه وفي سائر بلاد الترك وغيرها

وأما قولكم ان وجود خليفة جامع للشروط والصفات متعذر — فهو باطل فان الشروط المذكورة في كتب العقائد والفقه كلها متوفرة في كثير من رجال قريش ولا سيما اذا جرينا على عدم اشتراط بعض الحنفية الذين يقلدهم الترك العلم الاجتهادي فحينئذ نقول لهؤلاء بم تطعنون في صدقكم السيد احمد شريف السنوسي ؟ ألستم تشهدون بأنه قرشي حسني تقي صالح عادل ؟ على أنه يوجد في علوية قريش من هم أهل للاجتهاد سواء ادعوه كصديقكم امام اليمن ام لم يدعوه تواضعا كالسيد محمود شكري الآلوسي البغدادي

وقد بينا لكم في كتاب الخلافة الطريقة المثلى لايجاد كثير من المستجمعين لشروط الخلافة ، وهو تأسيس مدرسة لتخريج المجتهدين في الشرع الاسلامي يختار لها بعض الطلاب من أذكياء العلويين لانه قلما توجد أنساب ثابتة لغيرهم من بطون قريش وهم أولى من غيرهم بهذا الامر إذا ساووا غيرهم في العلم والعدالة لان في المسلمين ملايين كثيرة تشترط النسب العلوي الفاطمي في الامامة العظمى فتجتمع بذلك كلمتهم مع اهل السنة الذين يكتفون بالنسب القرشي والاخص يستلزم الاعم ولا عكس . فان تعذر استجماع الشروط قبل تخريج من يتربون ويتعلمون في هذه المدرسة كما تقولون يكون نصب الخليفة الفاقد لشرط واحد أو شرطين للضرورة أولى من تعطيل هذا الفرض وازالة شكل الحكومة الاسلامية واستبدال شكل آخر به يتقيد فيه بشيء من الشروط ، بل هو الحتم اللازم

(٤) قولكم في هذا المقام : ولذلك لم ينكر العلماء المعاصرون للسلطان سليم عليه حمل الخليفة المتوكل على الله العباسي على التخلي له عن الخلافة —

لم نر له وجها شرعيا ولا عقليا — فعلماء الآستانة لم يكونوا أحرارا قادرين على معارضة السلطان سليم السفاك — وهم غير معصومين من الخطأ عمدا، وليسوا ممن يحتج بقولهم فضلا عن سكوتهم ولو بغير عذر . ومثل هذا التعليل استدلال مصطفى كمال باشا بسكوت علماء مصر لحكومتها على نصب التماثيل — على كون صنعها ونصبها غير مخالف للشرع — فهو استدلال باطل سواء كانوا معذورين في السكوت او غير معذورين فان منهم من يرى رجاء قبول لامر بالمعروف والنهي عن المنكر شرطا لوجوبه وهم متفقون على أن الخوف على النفس يسقط الوجوب عملا بحديث «من رأي منكم منكراً فليغيره بيده، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان» رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن من حديث أبي سعيد مرفوعا على أنه يجوز أن يكون من هؤلاء وأولئك من أنكر سراً أو جهراً ولم ينقل انكاره

(٥) قولكم : ولذلك لم يعبأ احد في العالم الاسلامي ولا في جزيرة العرب لادعاء الشريف حسين الخلافة و علانه ذلك الخ نقول فيه — أولا — انا لم نر الشريف حسين دعوى صريحة للخلافة علنا وطلب للبايعة عليها ، وانما قدم له بعض المصورين المسرورين منشورا مصنوعا بالمبايعة من بعض أهل الشام فسر به بل بايعه بعضهم فعلا تقربا ليفصل في عهده ثم آخرون تقربا الى عبدالله من خدم حكومته . . . — وثانيا — وخطبه بعضهم بلقب أمير المؤمنين فسر به ورغب في تعميمه بقدر طاقته ، ولو ادعى الخلافة جهرا وصراحة لكلف أهل الحجاز بمبايعته بها وأعلنها كما يعلنها ولده عبدالله في شرق الاردن — وثالثا — ان العالم اذا لم يعبأ بدعوة الشريف الخلافة على فرض وقوعها فلا يهتم أن يكون لعدم اعتداده باجماع أهل السنة باشتراط النسب القرشي لها ولا لعدم احترامه للحرمين الشريفين ومن يتولى خدمتهما ، كيف وأنتم تلقبون خليفتكم الصوري أو الاسمي بخادم الحرمين الشريفين لانكم ترون هذا من لوازم الخلافة وان كانت دعوى خدمتهما باطلة ؟ — ولكن العالم الاسلامي يعتقد في جملته أن هذا الرجل آلة في يد أعداء الاسلام وخطر عليه وعلى الحجاز وأنه غير مستجمع

لشروط الخلافة الكسبية التي يمتاز بها قرشي على قرشي — ورابعها — ان ارتفاع أصوات الاجابة لبيعة عبد المجيد أفندي « ولو بالقول على الاقل » كما قلتم لا يدل على ما تريدون وهو أن يشايعكم العالم الاسلامي على اقامة خلافة صورية مبتدعة لا يكون ممثلها رئيسا لحكومة اسلامية تقيم الشرع ، وسنبين وجهة نظر العالم الاسلامي في هذه المسألة في مقال آخر اذ لا يحتمله هذا التعليق

(٦) قولكم ان الخلافة غير مقصودة لنفسها بل وسيلة لشيء آخر هو الحكومة التي تقيم العدل وتصون الملة — الصواب فيه أن يقال إنها رياسة الحكومة الاسلامية التي تقيم العدل وتصون الدين وتحفظ استقلال الامة الاسلامية — لا أنها شيء آخر — فاذاً لا يجوز اسقاطها واستبدال شكل آخر من أشكال الحكومات بها — ويقال مثل هذا في قولكم ان الغاية التي ذكرتموها هي المرادة من الشرع نفسه أيضا . أعني أنه لا يجوز للمسلمين اهمال الشرع الاسلامي والاستغناء عنه بشرع آخر بدعوى انه وسيلة للعدل وحفظ الامة مثله ، ولو جاز هذا للمسلمين لجاز أن يقولوا إن المقصد من الدين نفسه تزكية النفس بعبادة الله تعالى وفعل المعروف وترك المنكر فلا بأس بطلب هذا المقصد باتباع دين آخر يقصد به هذه الغاية !! ان أقيستكم التي اتخذتموها أدلة لاسقاط حكومة الخلافة ونسخها بحكومة ما تسمونه الحاكمية القومية باطلة شيطانية تؤدي الى اباحة ترك الاسلام برمته وأنتم لا تشعرون بذلك

فان قلتم اننا نريد تقييد حاكميتنا الملية بالشرع الاسلامي — ولكن لما كان الخليفة مشترط فيه أن يكون قرشيا فنحن لا نرضى أن نجعل رئيسا لحكومتنا من ليس من نسبنا ، ولا ن نسمي رئيس حكومتنا التركي خليفة لان هذا تزوير على ديننا وقد قلنا ان كتب العقائد التي تقرأ في جميع مدارسنا الدينية مصرحة بالاجماع على اشتراط النسب القرشي في الخليفة (قلنا) اذا كان هذا رأي مجلس حكومتكم فليصرح به وليترك إقامة خليفة صوري ليس له في حكومته أمر ولا نهي فان هذا أبعد عن الشرع وأبعث على العبث به من جعله رئيسا لحكومة اذ رئيس

الحكومة إذا ادعى الخلافة مع فقد بعض شروطها تصح تسميته خليفة متغلبا وتجب طاعته على من يبايعونه الا في معصية الله تعالى بل على جميع من يتغلب عليهم وان لم يبايعوه. فاما الامام الحق المستجمع للشروط فيجب اتباعه على جميع المسلمين و يعد المتغلبون الذين يرفضون اتباعه بغاة يجب قتالهم عند الامكان وأما الخليفة الاسمي الصوري فان هذا اللقب لا يجعل له أدنى حق في طاعة أحد

(٧) ما ذكرنا في المسألة السادسة يغنينا عن اطالة القول في تفنيد كلامكم الذي زعمتم فيه أن ما ذكره العلماء من الواجبات على الخليفة من اقامة الحدود وفصل الخصومات، واقامة الشعائر، وتجهيز الجيوش .وغير ذلك يمكن أن تقوم به حكومة مهما يكن شكلها اذا كانت ذات أنظمة صالحة فنكتفي بأن نقول فيه : إن هذه الانظمة لا بد أن تكون موافقة للشرع وان تراعي أحكامه في رئيسها

(٨) ان ما علائم به عدم قبول الامام أبي حنيفة لتولي القضاء وهو الخروج على الخلافة العباسية باطل لا يمكن اثباته بل كان خاضعا لحكمهم واماماتهم في صلاة الجمعة وسائر أحكامهم ، وقد علله غيركم بأنه كان مبايعا في السر لاستاذه الامام زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام ولم يثبت . وأما ما فرقتم به بينه و بين الامام أبي يوسف فهو من الترجيح بين المتساويين بغير مرجح

(٩) استدلالكم على جواز تجريد الخليفة من السلطة وجعل الخلافة صورية بما سبق له من المثل في التاريخ وسكت عنه العلماء من أظهر الاباطيل كما تقدم مثله في الكلام على سكوت علماء الآستانة للسلطان سليم ، ففي التاريخ ضلالات وظلم وكفر كثير . . .

فخلاصة القول في هذا الكتاب أنه يحرف أحكام الشرع في الحكومة الاسلامية و يزيد فيها و ينقص. يثبت جواز جعل خليفة الرسول في أمته مرءوسا لحكومة لا أمر له فيها ولا نهي. ويشترط فيه أن يكون من بيت خاص من الشعب التركي بدلا مما أجمع عليه المسلمون من جعل الخليفة الحق من عشيرة

الرسول (ص) أو قبيله ، ولا يشترط فيه العلم بالشرع لانه لا دخل له في التشريع ولا في تنفيذ الشرع . وجواز جعل الحكومة الاسلامية شعبية أوقومية يكون التشريع فيها في كل شعب لجماعة منتخبة منه لا يشترط فيهم العلم بالشرع الاسلامي اجتهاداً ولا تقليداً . والعجب لمن يريد هذا كيف يجرأ على جعله إسلاميا ؟

بريطانية وبلاد العرب

معنى المعاهدة الجديدة في نظر الانكليز

عقدت جريدة « النيوستيسمان » الانجليزية المقال الآتي في مشرع المعاهدة العربية البريطانية فترجمته جريدة الاخبار ورأينا أن ننقله لاطلاع قرائنا على افكار الانكليز في قومنا وفي الملك حسين واولاده لعلمهم يعتبرون. وهذا نص الترجمة:

ظاهر من الحوادث التي جرت في الاسابيع الاخيرة القليلة أن العلاقات بين بريطانيا العظمى والعالم العربي قد شارفت نقطة التحول وممالا دلالة خاصة على اتجاه التيار إتمام «الثالوث الشريفي» بترقية الامير عبدالله الى ما هو على الاقل شبيه بالعرش . ذلك أن السر هربرت صمويل في آخر مايو زار الامير في عاصمة عمان وأعلن أن بريطانيا العظمى تعترف بوجود حكومة مستقلة شرقي الاردن . ولا بد من موافقة عصبة الامم قبل أن يصبح هذا الاعتراف تاما ولكن هذا اجراء رسمي لن تقوم في سبيله صعوبة ما . على أن اعلان السر هربرت صمويل مفرغ في قالب الحيطة . فقد اقتصر على الاعتراف بعدّ الاردن كحكومة مستقلة واستخدم عبارة غامضة بعض الغموض لاتحتمل التحليل الدقيق وانما استدعى هذا الاحتياط ضرورات الحالة من جهة والانتداب لفلسطين من جهة أخرى . ذلك أن شرقي الاردن — الذي لا يتجاوز تعداد سكانه ٣٥٠,٠٠٠ ولا مساحته سبعة آلاف ميل مربع — لا يكاد يستطيع في الوقت الحاضر أن يقف على قدميه وحده وهو لم يبلغ درجة يستطيع معها أن يستغني

عن المستشارين البريطانيين أو المعونة البريطانية التي تبلغ في السنة المالية ١٥٠٫٠٠٠ جنيه انجليزي

وأما الانتداب فيشمل فلسطين قاطبة وفي جملتها شرقي الاردن وغربه على السواء وقد أعلن أن بعض نصوص الانتداب وبخاصة ما يتعلق منها بالوطن القومي لليهود لا ينطبق على عبر الاردن . والانتداب نافذ معمول به، وقد أبلغت بريطانية العظمى عصبة الامم في سبتمبر الماضي أن حكومة عبر الاردن ستظل سائرة تحت اشرافها العام (اشراف بريطانية) وعلى هذا فليس ثم استقلال تام في الوقت الحاضر على الاقل . ولكن هذا الاعلان الذي صدر (بالاعتراف بالاستقلال) له مغزاه على كل حال ، وهو يعني أن عبر الاردن مقدور له أن ينفصل عن فلسطين الغربية وأن يصبح دولة عربية تنظر جنوبا الى الحجاز وشرقا الى العراق (؟)

ولكن هذه ليست الا مرحلة واحدة في عملية كبرى لقد لمح السر هربرت صمويل في خطابه تلميحا جليا الى أن المركز الجديد الممنوح للامير عبد الله يجب أن يفسر في ضوء المعاهدة التي توشك أن تعقد بين بريطانية العظمى ووالده الملك حسين . وهذه المعاهدة هي آخر حلقة في سلسلة من المعاملات يرجع مبدؤها الى ١٩١٥ فقد كان دخول الشريف في الحرب مسبوقا بمكاتبات طويلة غير حاسمة بين مكة والقاهرة وكانت آراء الشريف السياسية غامضة مضطربة ولكن الذي كان يتطلع اليه دون أن يستوضحه هو انشاء امبراطورية عربية بمساعدة بريطانية أو على الاقل اقامة اتحاد عربي يدور على محور شريفي ولم يدخل الميدان الا بعد أن ارتبطت بريطانيا العظمى بتعهدات مفرغة في لهجة بيانية أكثر منها سياسية ولكنها مشجعة كثيرا ولا ريب

أوهام الملك حسين

ولما أرادت بريطانية العظمى أن تصفي هذه التعهدات سارت على خطين

متوازيين فأنشأت من جهة كتلة من لدول الشريفية فاعترفت في ١٩١٦ بالشريف حسين ملكا للحجاز. ولما آن الاوان وجد فيصل عرشا في العراق، وقدمت الآن الدائرة العائلية باقامة عبدالله في شرق الاردن . ولكنه من جهة اخرى لا يزال على بريطانية العظمى أن تختم الحساب مع الملك حسين .

وقد هبطت بضاعة حسين هبوطا شديداً في ختام الحرب ولكنه كان بطيئا في احداث التلاؤم اللازم بين نفسه و بين مستوى السعر الجديد فظل عائشا في عالم من الاوهام، سابحا في بحر من الخيالات، وكانت المعونة التي تبذل له تبلغ مائتي الف جنيه في الشهر في أثناء الحرب ولكنها في ١٩٢٠ أنقصت حتى وصلت الى درجة الزوال وظل رافضا أن يتعاقد وذهبت بعثة الكولونل لورانس الى جدة ١٩٢١ ثم عادت تاركة كل شيء حيث كان . وفي أوائل هذا العام بدأت الحركة من جديد ووصل الي لندن عن طريق لوزان الدكتور ناجي الاصيل وهو آخر سلسلة طويلة من رسل الشريف ثم آب الى مكة بعد بضعة أسابيع يحمل في حقيبته مشروع معاهدة . ولم يرض المشروع الملك حسين تمام الرضى ومال بحكم عادته الى طلب المزيد . والملك حسين مشهور بأنه مساوم شديد، ولكنه قد يجد اذا تعنت أنه ضيع الفرصة، وأما اذا تغلبت المشورة التي يمليها الحزم فليس ثم ما يمنع أن تكون المعاهدة مجهزة بعد قليل للتوقيع

وقد صارت نقط المعاهدة المهمة ملكا شائعا للجمهور . نعم إن لندن لم تصدر بها بيانا رسميا ولكنه بسبب الضغط الذي أوجدته سلسلة من الحماقات في مكة والقاهرة (١) نشرت حكومة فلسطين خلاصة رسمية منذ بضعة أسابيع. وفي هذه المعاهدة تتعهد بريطانية العظمى بأن تؤيد وتعترف باستقلال العرب في العراق وعبر الاردن وشبه جزيرة العرب. واذا أرادت الدول العربية أو واحدة

«١» يعني بهذا ما كتبه الملك حسين الى رئيس وفد فلسطين من ان بلادهم استقلت تحت سلطته وما قام به المصريون من الانكار على هذه المعاهدة بتضمنها للحماية على الحجاز والاحزاب السورية من الانكار على تضمنها للانتداب

منها « أن تدخل في اتحاد جمركي أو غيره بقصد تكوين اتحاد على مر الايام » فان بريطانيه العظمى تضع خدماتها تحت تصرفها. والغرض من باقي المعاهدة تنظيم العلاقات بين بريطانيه العظمى ومملكة الحجاز نفسها .

وهذا البرنامج المتواضع تواضعا نسبيا دون المشروعات الضخمة التي غصت بها الاحلام في أيام سنة ١٩١٥ الهادئة ! ولكن المعاهدة على هذا هي فاتحة مرحلة محدودة مهمة في تطورات السياسة البريطانية في الشرق الاوسط . ومعلوم أن بلاد العرب الداخلية مرجل يغلي وليس لبريطانية العظمى رغبة ما في غمس يدها أكثر مما لابد منه . ولكن لها (لبريطانية) على الحافة الخارجية للعالم العربي آمالا في انشاء طائفة من الدول المتمدينة تمدينا نسبيا يمكن أن تتكون منها على الزمن نواة صالحة لاتحاد عربي . والواقع أن للمعاهدة دلالتين : فمعناها من جهة أن بريطانية العظمى ستربط نفسها بعلاقات وثيقة دائمة مع الشعوب العربية ومعناها من جهة أخرى أن بيت الشريف هو المحور الذي تدور حوله هذه العلاقات .

ثلاثة عروش قلقة

وقد قالوا في بعض الاحيان : إن بريطانية العظمى بمظاهرتها للشريف انما تراهن على غير الجواد الرابح . والجواب عن ذلك أنه قد يكون في الاسطبل أو لا يكون خير من هذا الجواد ولكن الميدان كان يخلو من الجياد . ولعل أبعث على الشك من ذلك أن يستطيع الشريفيون الجري الى آخر الشوط . وليس بين هذه العروش الشريفية الثلاثة عرش واحد قوي الدعائم غير قلق . وأقل ما يقال في مركز الامير عبد الله إنه خطر . أما فيصل فمستورد كأخيه عبد الله ويزيد في ضعف مركزه أن عليه أن يرد مقاومة الشيعة لملك سني . أما الحسين فان ضراوته على السلب ضراوة صارت مثلا مضروبا في الشرق قاصيه ودانيه — لم تجمع حوله قلوب شعبه . وليس من الاسرار أن الامراء الشريفيين أنفسهم

ليس بينهم حب مفقود ـ أي إنهم لا يحب بعضهم بعضا ـ وليست العواطف السامية التي يتبادلونها علنا لسوء الحظ الا حجابا رقيقا يشف عن التحاسد والاسترابة المتبادلة . وقد بقي أن نعلم الى أي حد يستطيع حسين وأولاده أن يواجهوا خصومهم متحدين . وليس هؤلاء الخصوم بالذين يستطاع اغفال أمرهم ولا ينقص الحسين أن يتعلم فن تغريم الاجنبي وقد بدأنا نسمع التذمر من الجهات التي يعنيها أمر الحج ولا سيما مصر.

هذا وليس في قيام اتحاد عربي تكون مكة مركزه والشريف رأسه الظاهر ما يرتاح اليه العرب المسيحيون الذين لا يكتمون مخاوفهم الصحيحة . ولكن لبيت الشريف أعداء أقوى وأشد . ولقد استهدف هذا البيت اكثر من مرة منذ قيام الحرب لخطر تيار الوهابيه المتضخم ، فهناك في قلب بلاد العرب ابن السعود ذلك الرجل القوي البأس جار الحسين ومزاحمه الذي لا تلين قناته. نعم إنه الآن مقيد. ولكن من ذا الذي يسعه أن يضمن أن لا يصدع القيد متى الفى نفسه محوطا بطائفة من الدول الشريفية ؟ وثم جهة أخرى لا ينتظر أحد أن تستقبل فيها المعاهدة بحماسة شديدة . وشرح ذلك أن الفرنسيين غير مطمئنين في سورية وليس من شأن المعاهدة أن تجعل مقامهم أسهل . ولا ينكر أحد أن لدمشق في الحركة القومية العربية دوراً لا يقل أهمية وخطرا عن دوري بغداد ومكة . ولا يكاد يعقل أن لا يكون لمنظر انتصار القومية العربية في الظاهر في منطقة النفوذ البريطاني — رد فعل مقلق فيما وراء الحدود السورية . وسيحتاج الموقف الى الحذر في العلاج اذا أريد اجتناب التعارض مرة أخرى بين بريطانية العظمى وفرنسا في الشرق الاوسط

مدى المهمة وغايتها

هذه بعض المصاعب التي لا مفر من مواجهتها . وليس في الكشف عنها زراية على الغايات التي يراد من المعاهدة أن تؤدي اليها . ومن الخطأ أن تعد المعاهدة عبارة عن محاولة لتسكين هامة مكاتبات مكماهون فان لها سببا معقولا

يدعو الى عقدها . والحركة القومية العربية ليست في الوقت الحاضر الا زورقا ضعيفا تطوح به الامواج الى غاية غير محققة . ولكنها على ذلك حقيقة . ومن مصلحة التسوية الوطيدة أن يهتدي هذا الزورق المتخبط الى الميناء . وواضح جداً أن لبريطانية العظمى ربحا من وراء اقامة كتلة عربية يمكن اتخاذها في يوم من الايام لمواجهة قوات أخرى في العالم الاسلامي أقل ميلا الينا بالود (ليتأمل القاريء) ولعل هناك من يطوون جوانحهم على آمال أوسع . ومن لا يزالون متعلقين بخيال الخلافة العربية . ومهما يكن من الامر فما يسع أحداً الا العطف على مجهود حسن لاتاحة الفرصة للشعب العربي أن يجدد شبابه وأن يحيي التقاليد المجيدة التي هو وارثها ، ولكن المعاهدة ليست أكثر من صيغة من الالفاظ ولا يمكن أن تكون أكثر من ذلك ، وعلى العرب أن يخرجوا ما فيها الى حيز الوجود ، وسنرى الى أي مدى يستطيعون ذلك ، ولكن الحقائق القاسية التي تحيط بالموقف لا تشجع على التفاؤل المبالغ فيه اه

﴿ تعليق المنار على المقالة ﴾

نذكر قراء هذه المقالة الحرة الصريحة بأن يرجعوا الى التأمل في فحوى المسائل الآتية منها فقلما يجدون مقالة لبريطاني في مثل صراحتها :

(١) إتمام ما سماه الكاتب الثالوث الشريفي بترقية الامير عبد الله الذي هو الاقنوم الثالث منه الى عرش أو ما هو شبيه بالعرش على الاقل . وهذا ما سبقنا الى بيانه مرارا فقلنا: إن هؤلاء انما يعملون للدولة البريطانية ولا نفسهم ويتجرون بالامة العربية فيبيعون بلادها للاجانب الطامعة بمروش وتيجان، ثم لا يخجل اجراؤهم في سورية من البهتان علينا بأننا نطعن فيهم لانهم لم يعطونا وظيفة قاضي القضاة بمكة !! وهم يعلمون أن طريق الوظائف عندهم التملق لهم ومساعدتهم على أعمالهم التي نعد كل مساعد لهم عليها خائنا لامته. وهم يعلمون أيضا أن الامير عبد الله الذي استخدمهم قد صرح مرارا بأنه لا يتبع أهواء طلاب الاستقلال لسورية

ولاسيما حزب الاستقلال العربي الذي يبغضه أشد البغض لئلا يحرم من امارته التي يرجو توسيعها كما حرم أخوه فيصل من عرش سورية

(٢) ما قاله الكاتب الانجليزي في استقلال شرق الاردن الصوري أو اللفظي الذي أعلنه السر هربرت صمويل اليهودي الصهيوني الانكليزي تحت نير الانتداب، الذي صرح بأنه ليس باستقلال تام — والذي جعل عبد الله الحجازي مستخدميه فيه وزراء ووكلاء وزينهم بالالقاب الفخمة التي كانت تستعملها الدولة العثمانية أيام كانت مالكة لقلب الارض من أوربة وآسية وأفريقية: صاحب الفخامة — صاحب السماحة — صاحب الدولة — صاحب السعادة — هذه الالقاب التي صارت تستحي منها الدولة التركية الجديدة التي أكرهت الدول العظمى على تقرير معاملتها معاملة الند للند . . . وناهيكم بانعامه بلقب «باشا» التركي بغير حساب، وبأراضي البلاد على من شاء تمتعا بأبهة الملك الكاذب في مملكة يقل عدد سكانها عن مدينة الاسكندرية ويقل دخل حكومتها عن دخل مزارع واحد في القطر المصري — هذا وأهل مصر من زعيمهم الاكبر سعد باشا زغلول الى تلاميذ المدارس الابتدائية يقولون: إن استقلالنا مزيف أو حماية مقنعة!!!

(٣) التصريح بأن آراء الشريف حسين المضطربة التي حملته على الارتباط بالدولة البريطانية يفهم منها على غموضها أنه يطلب أن تؤسس له بريطانية العظمى اتحادا دولية عربية أو دول اتحاد عربي يدور على محور شريفي. ونقول إن هذا أقل ما في مقررات النهضة التي قدمها الشريف حسين للانكليز ونشرها الشريف فيصل في جريدة المفيد بدمشق ففيها التصريح بالحماية الانكليزية لهذه الامة العربية القاصرة في حجر الدولة البريطانية. ولا نزال نبين لقومنا أن أساس حركة هؤلاء الشرفاء بيع البلاد العربية للانكليز بعرش أو عروش ولا يزال مع هذا يوجد فيهم مغفلون وأجراء وأغرار يقولون: إنهم زعماؤنا، الذين يسعون لاستقلالنا!! وقد قال الكاتب الانكليزي ان دولته وفت الملك حسين بتعهداتها بانشائها [illegible] في مكة والعراق وشرق الاردن لاجل الغرض الذي بينه في آخر مقاله

(٤) تصريح الكاتب بأن ما نشرته حكومة فلسطين من خلاصة المعاهدة رسمي — وهذا ما صرحت به جميع جرائد لندن ، ولكن جريدة الملك حسين (القبلة) كذبت الخلاصة الرسمية لأنها أظهرت كذب بلاغ الملك حسين لفلسطين ولا تزال تكذبها ولا يزال يوجد في سورية وفلسطين من يصدق وريقة القبلة الساقطة التي فضحت الحجاز والعرب بكذبها وجهلها

(٥) تصريحه بأن المعاهدة تشتمل على تعهد دولته بتأييد استقلال العرب في العراق وعبر الاردن وجزيرة العرب . أي دون فلسطين خلافا لاقوال الملك حسين الرسمية التي ظهر كذبها لكل أحد حتى اضطر هو الى الاذعان له بعد عناد طويل اذ أرسل مندوبا يبلغ أهل فلسطين أنه يسالم الآن على اقناع الدولة البريطانية بانشاء حكومة وطنية لهم أي في ظل الانتداب الذليل ، وحسبهم ان يرأسهم عبد الله بعد صمويل ، الذي وعد الانكليز بأن يخمد لهم انفاس العرب في فلسطين ، بما ينكل بروسائهم المعروفين ! على انه لا يبعد ان يرجع عن وعد هذا المندوب ، كما رجع عن ذلك البلاغ المكذوب !

وأما أهل جزيرة العرب فانهم لا يقبلون تعهد انكلترة بتأييدهم ، فان ذلك نص في أن لها الحق في التدخل في شؤونهم وادارة بلادهم ، فان قبله الملك حسين للحجاز فزوال ملكه من الحجاز أيسر من تنفيذه فيه وأقرب ، ولن يقبله سائر أمراء الجزيرة أصحاب القوة التي يتضاءل دونها ما عدا الغرور والكبرياء من حسين الذي سمى نفسه ملكا لهم ، وأباح لنفسه أن يعقد المحالفات على بلادهم بدون رأيهم ، ولن يرضاه العالم الاسلامي الذي لكل فرد من أفراده حق مساواة الملك حسين في حرم الله وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولكن مأجوري الحجاز المنتصرين له في سورية يتملقون له ولولده عبد الله بزعمهم أن له الحق أن يتصرف في شعائر الله و شاعر دينه بما يشاء وأن ينظر في حال الحجاج ويحاسبهم على ما في قلبهم فيأذن بالحج لمن شاء منهم ويمنع من شاء كما

صرح به مستأجرهم الامير عبدالله وأجازوه على ذلك بالرغم من دينهم الذي يدعونه

(٦) وصفه المعاهدة الجديدة بأنها مرحلة محدودة مهمة في تطورات السياسة البريطانية في الشرق الاوسط — فهو صريح في أنها تمهيد لمراحل أخرى في سياستهم ومطامعهم في بلادنا . ونحن قد فهمناهذا فأنكرناه وبينا فساده وضرره لما يوجبه علينا ديننا وحقوق أمتنا، فدافع أمراء الحجاز عن أنفسهم بشتمنا في وريقتهم البذيئة التي سموها (القبلة) وأغروا بعض السفهاء بشتمنا أيضا، ولكن لم نجد أحداً منهم رد علينا ولا على الجرائد المصرية وغيرها بكلمة واحدة في الدفاع عن المعاهدة، ولا تزال الايام تصدقنا وتكذبهم ، وتؤيدنا وتفندهم

(٧) تفسيره لهذه السياسة البريطانية بآمالهم في انشاء طائفة من الدول العربية ذات حضارة نسبية أي لاحقيقية، وبأن الرشوة التي يرضون بها الشريف وأولاده هي جعلهم اياهم محور هذه الدول وقطب رحاها . فليتأمل القراء فحوى تأييف الدولة البريطانية لهذه الدول وهل هو لحب العرب أم لحب نفسها وتمكينها من استعمارهم ؟ وفحوى جعل مدنيتهم نسبية لا حقيقية اليس معناه أن يكونوا عالة على الانكليز طول حياتهم ؟ اليس هذا عين ما حذرنا العرب منه وأقمنا النكير على الملك حسين لقبوله مدئيا وجعل اعلانه عيداً لامة عربية ؟ اليس من مصائب أمتنا أن يوجد عربي أو مسلم ينصر هذا الرجل ويدافع عنه ؟ بلى ولولا أن ثلاثة من أفضل فضلاء سورية كتبوا الي يقترحون الكف عن الانكار عليه ، وصرح واحد منهم بتحسين الظن به ، والرجاء فيه في اولاده ، لما اعتقدنا انه يوجد رجل ذو قيمة مغرور به، فانا لم نر في اسماء من ناضلوا دونه احدا من من أهل الفضل المعروفين ، بل كلهم من الجاهلين أو المجهولين ، والمنافقين المأجورين له أو للانكليز ولولا وريقة القبلة لما علمنا الا بأقل ما كتبوا فاننا نربأ بأنفسنا أن ننظر في شيء من تلك الصحف لما أمرنا الله تعالى به من الاعراض عن اللغو وعن الجاهلين

(٨) ليتأمل القراء جد التأمل كلامه في وصفه عروش الثالوث الشريفي

بالقلقة لضعف أقانيمه الثلاثة والشك في قدرتهم على تبليغ الدولة البريطانية مرادها من استخدامهم — وتشبيهه اعتمادها على الملك حسين بالمقامرة على الجواد الخاسر في السباق ، واعتذاره عنها بأنها لم تجد في الميدان غيره، وان كان يمكن أن يوجد في الاصطبل العربي جياد أخرى خير منه . فهو صريح في أنها لم تجد أحداً من زعماء العرب يرضى أن يكون مطية لها، بلغها ما تطمع فيه من بلادها ؟ فطوبى لكم يا أنصار حسين بهذا الزعيم الذي تقولون إنكم لا تجدون غيره فقد تكلمتم بلسان بريطانية العظمى

(٩) كلامه في تحاسد الامراء الشريفين وتباغضهم وكونه معروفا لم يبق سرا فيكتمه كرامة لهم، وان ستروه بتبادل ألفاظ العواطف السامية بينهم ، وتقول ان هذا هو الحق وان جهله أو تجاهله بعض أصحاب الآمال فيهم ، ولكن لا يجهله الانكليز المحيطون بجميع أسرارهم بمالهم من الجواسيس لديهم ، وجميع المعاشرين لعبد الله يعرفون شدة مقته لاخيه فيصل الذي انتزع منه عرش العراق بعد ان بايعه عليه المؤتمر العراقي بدمشق ، ويتربص به الدوائر لاسترجاع العرش منه ، ومما رواه لنا بعض المقيمين في عمان أن « ذا الاقبال الشيخ فؤاد الخطيب وكيل خارجية دولة الحجاز » مدح الامير عبد الله بقصيدة أنشدها بين يديه في (المقر العالي) نسيب أفندي الخطيب مدير البريد في مملكته فلما بلغ قوله فيها

تنازل عن ملك العراق كرامة وأفضل من عرش العراق تنازله

قال له الامير كذبت انني لم أتنازل، ومنعه من اتمام إنشاد القصيدة بل لم يلبث أن عزله

وأما ماسماه الانكليزي المجاملات باظهار العواطف الكاذبة فمثالها مارواه لنا هؤلاء عن زيارة الملك فيصل له من عهد قريب وهو أن كلا منهما كان يعبر عن الآخر بجلالة أخي، بل كان فيصل يزيد على ذلك قوله « سيدي » ...

(١٠) تأملوا أيها المسلمون حق التأمل وجد التأمل فيما يصرح به الانكليز من غرضهم من عقد المعاهدة مع الملك حسين ومما يسميه ويسمونه الوحدة

العربية وأعني به قول الكاتب السياسي الانكليزي :

«وواضح جدا أن لبريطانية العظمى ربحا من وراء إقامة كتلة عربية يمكن اتخاذها في يوم من الايام لمواجهة قوات أخرى في العالم الاسلامي أقل ميلا الينا بالود »

أليس هذا صريحا في أنهم يريدون جعل العرب جندا لهم يقاتلون به الترك والايرانيين عند الحاجة ؟ بلى ، ألا ترى مصلحة في قتال الترك والايرانيين لتوطيد دعائم الاستعمار البريطاني ؟ انني لا أسأل هذا السؤال ذا الدين من المغرورين بالملك حسين وأولاده ، بل الملاحدة الذين لم تبق العصبية أدنى أثر للرابطة الدينية ولو سياسية في قلوبهم، أن يأتوني بمصلحة بينة للعرب في تكوين الانكليز لوحدتهم، وبنائها على عداوة الترك وجعلهم جندا للدولة الانكليزية يحاربون به هذا الشعب الحربي الباسل الذي ظلت أوربة تكيد له بالحرب وغير الحرب عدة أجيال ولم تستطع انتزاع سيادته من يده، فان جئتموني أيها الملاحدة بهذه المصلحة وأثبتموها بالحجة، ولم يبق لي من أسباب مخالفتكم الا حرصي على المودة الاسلامية — فانني أعذركم على اتباعكم لاغراء هؤلاء الحجازيين بذلك خدمة للانكليز الذين صرحوا لنا بأنهم لم يجدوا في هذا الميدان من اصطبل العرب الا الملك حسينا مع الشك في أن يوجد في الاصطبل غيره

ومن الانصاف حينئذ أن تعذروني في اتباعي لديني الذي يرشدني الى التأليف بين المسلمين عربهم وتركهم وفرسهم، كما أعذركم في ءـ بيتكم الجاهلية : على أنني أعتقد عجزكم عن اثبات المصلحة أو نفي المفسدة في ذلك ، وعن اثبات زعمكم تفضيلي لمصلحة الترك على مصلحة العرب، وهل تستطيعون أن تأتوني برجل من أمتنا ناضل الاتحاديين الذين هضموا حقوق العرب كما ناضلتهم ؟ أو برجل منكم أو من غيركم خطأ الغازي مصطفى كمال في خطبته التاريخية التي ألقاها في المجلس الوطني بأنقرة كما خطأته فيما قاله عن العرب والخلافة وفي مسائل أخرى؟ أو برجل منكم أو من غيركم خطأه وحكومته في مسألة الخلافة الحاضرة وأقام من الدلائل الشرعية

الحكم الاجماعية على وجوب حصر الخلافة في قريش ما أقنعه على ذلك؟ أو برجل منكم وغيركم أقام ما قمت من الادلة على كون اللغة العربية هي لغة الاسلام ووجوب تعلمها على جميع المسلمين ؟

نعم انني مع هذا لم أهضم الترك حقا لهم ، ولم أنحلهم ما ليس لهم ، وانني اقترحت عليهم التعاون مع العرب على اقامة الخلافة بالحق لاجل اعادة مجد الاسلام ، مع استقلال كل من الشعبين . . . وانني أبذل جهدي في سبيل منع التعادي والشقاق بيننا وبينهم ، وأرى الخطر علينا من ذلك أشد من الخطر عليهم ، (وإنا أو وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ، ولتعلمن نبأه بعد حين)

العرب في ايطالية

في القرون الوسطى

حضرة الاستاذ العلامة حجة الاسلام مفتي الانام السيد محمد رشيد رضا أيده الله ونفع به

جوابا على ملاحظتكم بشأن ما ذكرته في رسالة « العرب في سويسرة في القرون الوسطى » من كون العرب اكتسحوا رومة ، وقولكم أحقيقة أراد الكاتب بهذا أو مجازا لان العرب لم يفتحوا رومة ولا سلبوها . أقول

ورد في التواريخ أن العرب صعدوا الى رومة من مصب نهر التيبر واجتاحوا البلدة وأخذوا من كنيسة مار بطرس تابوتا من فضة ولكنهم لم يستقروا برومة

ثم ان العرب كانوا يختلفون الى ضواحي رومة ويشنون الغارات فيها وفي احدى المرار اجتمع عليهم الاهالي فهزموهم فخلص منهم فئة الى البحر وفئة استؤصلت بالسيف وفئة من بقايا السيوف لاذت بمكان منيع هناك وانفصلت عن نفسها وبقيت تحمي نفسها الى أن وقع الصلح بينها وبين أهل البلاد ولا سباب مجهولة

عندنا تفاصيلها تركوها توطن تلك الارض فالآن على مسافة ٤٠ كيلومتر من رومة قرية اسمها « سارازينسكو » Sarrasinesco من اسمها يعرف أن أهلها أصلا مسلمون لان سارازينو معناه مسلم كما لا يخفى وليس الدليل على كون أهل هذه القرية عربا هو الاسم فقط بل حدثني الكونت كولالتو صاحب جريدة رومة الايطالية التي تصدر بالقاهرة وهو من جلة أدباء الطليان وفحول الكتاب أن أهالي قرية سارازينسكو هم الى يومنا هذا حافظون عاداتهم العربية وما كلهم العربية ولا يزالون يعزفون بآلات الطرب العربية مما لا يوجد عند قوم سواهم في ايطالية وان سحناتهم الى هذا اليوم سحنات العرب لا يتمارى في ذلك من رآهم

ويوجد آثار للعرب فيما عدا رومة من بر المدوة الايطالية مثلا بلدة لوشيرة بين نابلي وكالابرة كان فيها الملك فريدريك هوشتافن الالماني في نحو السنة الالف والمائتين والخمسين للميلاد وكان عنده عسكر من العرب نحو ٢٠ الفا وآثار مساكنهم لا تزال الى هذه الساعة

وغير خاف أني أنا لم أقل أن العرب افتتحوا رومة ولا استولوا عليها بل انهم اكتسحوها . ومما يؤيد صحة هذه الروايات أنهم كانوا لرومة جيرانا مكاثرين بوجودهم بصقلية من جهة وبصردانية من أخرى ثم بنزولهم بجهات جنوى على ما ذكرت في رسالة « العرب في سويسرة »

وانني أضيف الى ما ذكرت في تلك الرسالة شيئا اطلعت عليه في « صان ريمو » مؤخرا وهو أنني قرأت في دليل تلك المدينة البديعة التي هي اليوم من أبهى مشاتي أوربا أن العرب استولوا عليها في القرن العاشر (للميلاد) ولا عجب فان صان ريمو هي على مقربة من فراكسيناتوم التي هي أول بلدة نزل العرب بها في أوائل القرن العاشر حسبما تقدم في رسالتنا

ومما علمته مؤخرا من آثار العرب بايطالية أن في بلاد اسمها كالياري Cagliari في صردانية قرى كل من رأى أهلها وخالطهم علم أنهم عرب ونساؤهم لا يختلطن بالرجال في مجامعهم ولا يخرجن الا متنقبات الى هذا اليوم سمعته من ضابط

ايطالي من أركان الحرب الكبار كان أقام مدة بتلك الديار ومن بحث وجد للعرب في أوربا آثارا اكثر جدا مما روى المؤرخون

لوزان ١٢ مايو سنة ١٩٢٣ شكيب أرسلان

(المنار) قد أجاد أمير الكتاب وثبت التاريخ فيما أفاد، والما يظهر لي منه وجه التعبير عن ذلك بالا كتساح

المطبوعات الحديثة

﴿ شرح الازهار ، المسمى بالمنتزع المختار ، من الغيث المدرار ﴾

كتاب الازهار في فقه الأئمة الاخيار ، متن جامع في فقه الزيدية أو العترة النبوية ، لعلامتهم المتفنن الامام المهدي . وهو احمد بن مرتضى الحسين المذحجي الذي بويع بالامامة العظمى لما مات الامام صلاح الدين سنة ٧٩٣ وقد حدث عقب مبايعته احداث سجن في اثنائها في قصر صنعاء ، وقيل في الدار الحمراء ، وكانت مدة حبسه ستة سنين الف في أثنائها متن الازهار ، وشرحه الغيث المدرار ، ثم خرج وذهب الى الامام الهادي واتفقا وتوادا وتم له الامر بعده ، قال العلامة المقبلي صاحب العلم الشامخ الامام المهدي هو الذي أخرج مذهب الزيدية الى حيز الوجود ، وقد شرح الازهار كثيرون من علماء اليمن المستقلين المجتهدين كالامام الشوكاني وسمي شرحه السيل الجرار ... والمقلدين كالعلامة أبي الحسن عبد الله بن مفتاح المتوفى سنة ٨٧٧ وسمي شرحه (المنتزع المختار من الغيث المدرار) فهو مختصر من شرح المصنف

فاما الامام الشوكاني فهو يذكر الاحكام بأدلتها ، ويقيم ميزان التعادل والترجيح بينها ، على طريقته في كتاب (نيل الاوطار) في فقه الحديث ، وأما ابن مفتاح فيعنى بتحقيق الراجح في مذهبهم ، ويذكر خلاف كبار علماء الامصار كالائمة الاربعة — أبي حنيفة ومالك والشافعي واحمد — وقلما يخرج مذهب الزيدية

عن هذه المذاهب ، وانما يتحقق باربعة أصول العدل والتوحيد بالمعنى المشهور عن المعتزلة فيها والقول بامامة زيد بن علي (رضي) ووجوب الخروج على الظلمة

طبع هذا الشرح (المنتزع المختار) في العام الماضي مع حواشي عليه في أربعة مجلدات كبيرة ، طبع بمصر في عدة مطابع على نفقة ملتزمه (الشيخ علي يحيى اليماني) ووقف على طبعه وعني بتصحيحه صديقنا الشيخ عبد الواسع الواسعي اليماني فيحسن بالمتوسعين في علم الفقه ان يقتنوا هذا الكتاب ويطالعوه أو يراجعوه عند الحاجة

﴿ المناهج الطبية . لاتقاء الامراض الافرنجية ﴾

« كتاب ينطوي على أحدث الآراء والمباحث وفيه مايهم الاطباء والطلبة وما لاغنى عنه للعامة — تأليف الدكتور رجورج صوايا المتخرج في الطب والجراحة في الجامعة الاميركية في بيروت وجامعة ماريلند في بلطمور وجامعة هارفرد في بوطسن — والحاصل على شهادة الحكومة القانونية من جامعة بوانس ايرس »

كتاب ضخم فخم غزير العلم مؤلف من ثلاثة أجزاء صدر الجزء الاول منها في العام الماضي (١٩٢٢ م) مطبوعا طبعا حسنا على ورق جيد في أحدى المطابع العربية السورية في (بونس ايرس — الارجنتين) وهو خاص بداء السفلس المرض الافرنجي الحقيقي وقد بلغت صفحاته زهاء خمسمائة صفحة فصارت اللغة العربية غنية به في هذا الموضوع النافع فان الداء الافرنجي لايزال يفشو وينتشر في البلاد العربية بانتشار التفرنج وكثرة تنقل الافرنج في البلاد وإباحة الفسق تسهيل سبله في كل مكان يكثرون فيه أو يكثر مقلدتهم حتى أنه قد تضاعف في بلادنا السورية بعد الاحتلال الفرنسي فيها بكثرة الزنا والعهر والعياذ بالله من سوء العاقبة

فالدكتور صوايا قد خدم أمته العربية وبلاده بهذا الكتاب خدمة جليلة فاق بها جميع أطبائنا كما أنه يخدمها بصدق وطنيته واستقامة سياسته اذ هو رئيس الحزب العربي الوطني في الارجنتين المعارض لكل احتلال واستعمار ، فنشكر له عمله الطبي والسياسي ونرجو أن يكثر في أمتنا العربية وبلادنا السورية من أمثاله .